دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الجملة الصغرة المفسرة في القرآن الكريم : دراسة وصفية تطبيقية
المؤلف الرئيسي:	نور، حليمة محمد محمد
مؤلفين آخرين:	مسلم، الوليد حسن علي(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2014
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 159
رقم MD:	621156
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية التربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	تفسير القرآن ، المفسرون ، النحو ، إعراب القرآن ، النحاة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/621156

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الثالث
الجملة التفسيرية المشـــتركة وظيفيـــاً

المبحث الأول: الجملة المفسرة لضمير الشأن

المبحث الثاني: الجملة المفسرة في باب الاشتغال

المبحث الثالث: الجملة المفسرة في سياق الشرط

المبحث الرابع: جملة الاستئناف البياني

المبحث الخامس: الجملة التفسيرية المصدرة بـ (أن) المشددة

المبحث السادس: جمل أخرى

الفصل الثالث
الجملة التفسيرية المشتركة وظيفيا

تمهيد:

كان الكلام في الفصل الأول عن الجملة المفسرة وذكرت أنها تكون على نوعين. مرتبطة بأداة تفسير، ومجرده عنها، وقد انحصرت وظيفة النوع الأول من هذه الجمل بإيضاح وتفسير المبهم المتقدم عليها في السياق وتفسيره، والنوع الثاني الجملة فيه قد تقع تفسيرا وخبرا في السياق الواحد كما في الجملة المفسرة لضمير الشأن، أو أنها تقوم بتفسير محذوف مع تأكيد المعنى السابق كما في الجملة الواقعة في باب الاشتغال، أو أنها تقوم بتفسير مبهم مع تأكيد المعنى في الجملة اللاحقة كما في الجملة الواقعة بعد (أنَ) المشددة، أو أنها تؤدي وظيفة تفسيرية مع وقوعها بدلا أو حالا أو مفعولا به ، وهذا ما سيتم توضيحه مفصلا من خلال المباحث الآتية

المبحث الأول

الجملة المفسرة لضمير الشــأن

من الضروري والكلام عن هذا النمط من الجمل أن أقدم توطئة أبين من خلالها مفهوم ضمير الشأن وطبيعته أو ما يعرف لدى الكوفيين بضمير المجهول.[١]

فقد اتسم هذا الضمير بمجموعة من السمات والخصائص ميزته من بقية الضمائر، ولعل من أهمها ما ذكره سيبويه إذ قال: (ولا يكون في موضعه مظهرا)[٢] وذلك لأنه لا يعبر عن ذات معينة وإنما عن شيء ذهني معنوي تتضمنه الجملة التي تعقبه ، ويؤتى به في السياق قصد تفخيم ما بعده وتعظيمه ، فعلى هذا لابد أن يكون مضمون الجملة المفسرة شيئا عظيما يعتني به فلا يقال مثلا: هو الذباب يطير[٣] وقد أجمل ابن هشام أوجه الاختلاف بينه وبين غيره من الضمائر بخمسة أوجه[٤].

أحدهما: عوده على ما بعده لزوما إذ لا يجوز للجملة المفسرة أن تقدم هي ولا شيء منها عليه.

والثاني: أنَّ مفسره لا يكون إلا جملة ولا يشاركه في هذا الضمير.

والثالث: أنه لا يتبع بتابع فلا يؤكد ولا يعطف عليه ولا يبدل منه.

والرابع: أنه لا يعمل فيه إلا الابتداء أو أحد نواسخه.

والخامس: أنه ملازم للإفراد فلا يثني ولا يجمع وإن فسر بجمع.

وتعد الجملة المفسرة بعده من أبرز الجمل التي ينطبق عليها مفهوم الاشتراك الوظيفي؛ لأنها تؤدي وظيفة الإخبار عن ذلك الضمير، وكذلك تقوم بإيضاح حقيقته فهي إذا تؤدي وظيفتين:

---

(١) شرح المفصل ، ج ٣ ، ص ١١٤ .

(٢) الكتاب ، ج٢، ص ١٧٦ .

(٣) شرح الرضي على الكافية ، ج ٢ ، ص ٤٦٥

(٤) مفتي اللبيب ، ج٢ ، ص ٤٩٠ – ٤٩١ .

الأولى: إخبارية بوصفها خبرا له .

والثانية: تفسيرية بيانية بوصفه مجهولا يحتاج إلى الإيضاح والتفسير، إذ أنها توضحه وتزيل ما فيه من إبهام فهي تشبه التفسيرية من هذا الجانب ولكن تباينها من حيث أن التفسيرية مستقلة عما قبلها لفظا فهي لا محل لها من الإعراب في حين تكون الجملة المفسرة لضمير الشأن ذات موقع إعرابي[١]؛ لأنها خبرا له، كما أن التفسيرية توضح جملة أو مفردة في جملة متقدمة عليها، فعليه لابد من وجود جملتين مستقلتين لكي يقع التفسير، في حين يقع التفسير في هذا النمط من الجمل في نطاق جملة واحدة هي الجملة الكبرى، وتقوم الصغرى فيها بوظيفة تفسير الضمير في الجملة الكبرى الذي يمثل عنصر المسند إليه فيها.

وإذا استطلعنا هذا النمط في القرآن الكريم سنجد أن الجملة فيه توزعت بين الاسمية والفعلية والشرطية، وسأقف عند نماذج منها قصد الدراسة والتحليل.

الجملة الاسمية:

وردت الجملة المفسرة لضمير الشأن اسمية في مواضع عديدة [٢]، من آيات القرآن الكريم ، ولا يخفى ما لهذا النوع من الجمل من دلالة تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء من غير نظر إلى التجدد[٣]، بخلاف الجملة الفعلية التي تشير إلى وقوع الحدث بعد أن لم يكن[٤]، فهي موضوعة في أصل وضعها لإفادة التجدد والحدوث في زمن معين[٥]، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال عدة سياقات منها ما ورد في سياق التحذير من كتمان الشهادة المتمثل بقوله تعالى: (وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (البقرة ٢٨٣) فقد ورد هذا النص ضمن آية الدين

---

(١) الإعراب عن قواعد الإعراب، ص ٤٦.

(٢) ينظر على سبيل المثال السور: يونس (٩٠) ، هود (١١)، النحل (٢)، محمد (١٩).

(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، ص ١٣٣.

(٤) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياني، ط١، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٣٧.

(٥) في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، ط١، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م ، ص ٤١ .

التي تعد أطول آية في القران الكريم وكتمان الشهادة هو إخفاءها بالامتناع من أدائها[١]، وفي قوله تعالى (آثِمٌ قَلْبُهُ) أوجه من الإعراب.[٢]

الأول: أن (آثِمٌ) خبر إن و(قلْبُه) فاعل لاسم الفعل (آثم) مرفوعٌ به.

والثاني: أن (آثم) مرفوعة بالإبتداء و(قلبه) مرفوع به سد مسد خبره، والجملة خبر لـ(إنّ).

والثالث: أن (آثم) خبر مقدم و(قلبه) مبتدأ مؤخر والجملة من المبتدأ والخبر واقعة خبراً لإنّ.

والذي تؤيده الدارسة هو الوجه الثالث، ذلك أنه متسق مع مذهب جمهور النجاة الذي ينص على أن خبر ضمير الشأن لا يكون إلا جملة مصرحا بجزيئيها.[٣]

وقد فسرت الجملة الاسمية هنا ضمير الشأن الذي أفاد وجوده في الجملة تهيئة نفس المتلقي لأمر مهم يلقي عليه ألا وهو كتمان الشهادة كي يتلقاه بمزيد من العناية والاهتمام.

ومن ذلك أيضا ما ورد في سياق الوعيد، وقد تمثل ذلك بقوله تعالى: (قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ } (هود٨١) فقد وردت هذه الآية في بيان قصة سيدنا لوط عليه السلام وما حل بقومه من العذاب ، فقد عرف قومه بالفاحشة التي لم يسبقهم إلى مثلها أحد من العالمين ألا وهي إتيانهم الرجال شهوة من دون النساء[٤]، و في قوله: (مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) من الاحتمالات الإعرابية ما ذكر في الآية السابقة ، ولعل أقربها إلى فكر الباحثة هو عد

---

(١) الكشاف ، ج١ ، ص ٤٠٦ .

(٢) ينظر : إعراب القرآن ، للنحاس ، ج١ ، ص ٣٠٣ ، ومشكل إرعاب القرآن ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، والكشاف ، ج١، ٤٠٦ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ، ج١ ، ص ١٨٦ .

(٣) شرح الرضي على الكافية ، ج٢ ، ص ٤٦٦ .

(٤). التفسير الكبير ، ج ١٨ ، ص ٢٩ .

(مُصِيبُهَا) خبرا مقدما والاسم الموصول وصلته (مَا أَصَابَهُمْ) مبتدأ مؤخرا[١]، وقد فسرت الجملة الاسمية ذلك الضمير المبهم[٢] الذي صدرت به الجملة الاستئنافية قصد تفخيم شأن تلك الواقعة وتعظيم أمرها ، إذ أن الشيء إذا كان مبهما تطلعت إلى فهمه النفوس وتشوقت إلى معرفته فتذهب في تصوره كل مذهب، فإذا ما فسر بعد ذلك تمكن في النفس. [٣]

وليحظ في السياق استعمال الفعل الماضي في معنى الاستقبال في قوله تعالى: (مَا أَصَابَهُمْ)[٤]، وكان مقتضى الظاهر أن يقال (إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا يصبهم) لأن العذاب لم يقع بعد، ولعل السبب في هذا العدول هو التنبيه على تحقق نزول العذاب بهم و أنه أمر لا مفر منه ومثله في ذلك قوله تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ }) (النحل١) إذ انزل المستقبل منزلة الماضي – للدلالة على حتمية وقوع الحدث[٥]

وجملة (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) مستأنفة، قطعت عما قبلها لغرض الاهتمام بالحدث وتهويله، و(الموعد) فيها فهو وقت نزول العذاب عليهم. [٦]

وفي قوله تعالى: (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} هود٨١ استئناف بياني صدر من الملائكة جوابا عن سؤال كان يجيش في نفس سيدنا لوط عليه السلام بسبب استبطائه نزول العذاب عليهم.[٧]

ويوجد هذا النمط من الجمل في ما ورد في سياق التقرير الذي تمثل بقوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ) الإخلاص١– ٢ .

---

(١) البحر المحيط ، ج٦ ، ص ١٩١ .

(٢) الجدول ، ج٢ ، ص ٣٢٨ .

(٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(٤) التحرير والتنوير ، ج١٢ ، ص ١٣٣ .

(٥) معاني الماضي في القران الكريم ، حامد عبد القادر ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، السنة : ١٩٥٨م ، ج ١٠ ، ص ٧١ .

(٦) التحرير والتنوير ، ج ١٢ ، ص ١٣٣ .

(٧) المرجع السابق .

إذ تعد هذه السورة من قصار سور النص القرآني وهي مع قصر آياتها تناولت أخطر مسألة في الدين الإسلامي ألا وهي مسألة الاعتقاد الذي يشكل ثلث القرآن الكريم، إذ من المعلوم أن القرآن الكريم تتوزعه ثلاثة جوانب: تشريعية وعقائدية وأخبار السابقين.[١]

ولما كان الاعتقاد يشغل ثلث القرآن الكريم وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها تعدل ثلث القرآن لما تضمنته من معاني التوحيد، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)[٢]

والسورة افتتحت بالأمر بالقول لإظهار العناية بما بعده.[٣]

وصدرت جملة مقول القول بضمير الشأن قصد التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها و جلالة الخبر مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير، إذ أن الضمير لا يفهم منه أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما بعده مما يفسره ويزيل إبهامه[٤] فجاءت جملة الخبر المكونة من المبتدأ (الله) والخبر (أحد) لتؤدي تلك الوظيفة[٥].

ويرى أن الجملة ابتدأت بلفظ الجلالة وهو علم على الذات العلية قصد استحضار جميع صفاته جل جلاله عند التخاطب[٦]، وعدل عن أسم الفاعل إلى الصفة المشبهة في الإخبار فقال (احد) ولم يقل (واحد) لأنها تفيد تمكن الوصف في

---

(١) الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، محمد مصطفى محمد ، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، بغداد ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ص ٧ .

(٢) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ج٣، ص ٢٣٠ .

(٣) التحرير والتنوير ، ج٣٠ ، ص ٦١٢

(٤) إرشاد العقل السليم ، ج ٦ ، ص ٤٨٧ .

(٥) إعراب القرآن ، النحاس ، ج٣ ، ص ٧٨٧ .

(٦) التحرير والتنوير ، ج ٣٠ ، ص ٦١٣ .

موصوفها، وهو تمكن ذاتي لا تؤديه وظيفة اسم الفاعل[١]، وجاءت جملة (الله الصمد) خبرا ثانيا عن ضمير الشأن، وقد فصلت عن التي قبلها، لان هذه الجمل مسوقة لتلقين السامعين مفاهيم التوحيد فكانت جديرة بأن تكون كل جملة مستقلة بذاتها غير ملحقة بالتي قبلها، ولهذا الاعتبار وقع اسم الجلالة في قوله تعالى: (اللَّهُ الصَّمَدُ) وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (هو الصمد)[٢].

وذهب أبو السعود إلى أن تعرية هذه الجملة عن العاطف بسبب كونها كالنتيجة الأولى، إذ بين أولا ألوهيته تعالى المشبعة بكافة نعوت الكمال، ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة، ثم صمديته المقتضية لإستغنائه الذاتي عن سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها. [٣]

ثانيا: الجملة الفعلية:

وردت الجملة الفعلية مفسرة لضمير الشأن في سياقات متنوعة وتشكلت من الجملة الفعلية الماضية والمضارعة، ومن ذلك[٤] ما ورد في قوله تعالى: ((يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ)) هو ٧٦.

يرى أن قوله (يَا إِبْرَاهِيمُ) مقول قول محذوف حذف إيجازا [٥]، أي قالت له الملائكة أعرض عن هذا [٦]، والإشارة (بهذا) إلى الجدال والمحاورة في مفروغ منه [٧] هو نزول العذاب، ولما كان ما بعد هذا الكلام أمرا عظيما شأنه صدرت الجملة الفعلية الماضية بضمير الشأن[٨] الذي أفاد بدوره تفخيم مضمونها، وقد أدت هذه الجملة بدورها تفسير ذلك الضمير وإيضاحه، وقد أكدت الجملة المفسرة لضمير

---

(١) معاني الأبنية في العربية ، السامرائي ، ط١ ، نشر جامعة بغداد ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، ص ٧٤ .

(٢) البحر المحيط ، ج١٠ ، ص ٥٧١ .

(٣) إرشاد العقل السليم ، ٦ ، ص ٤٨٨ .

(٤) ينظر على سبيل المثال أيضا السور : يوسف / ٨٧ ، المؤمنون / ١٠٨ – ١٠٩ ، الجن / ١١، ١٩ .

(٥) التحرير والتنوير ، ج١٢ ،ص١٢٤ .

(٦) الكشاف ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(٧) البحر المحيط ، ج ٦ ، ص ١٨٥ .

(٨) إرشاد العقل السليم ، ج٣ ، ص ٣٣٥ .

الشأن بمؤكدين، الأول الحرف (قد) ، والثاني الفعل الماضي (جاء) المعبر به عن المستقبل للدلالة على حتمية وقوع القضاء الذي قضاه الله تعالى على قوم لوط[١] ولينفي بذلك أدنى احتمال قد يترجح لدى سيدنا إبراهيم عليه السلام في رفع هذا العذاب نتيجة محاورته ومجادلته لرسل الله، وذهب ابن عاشور إلى أن الجملة المفسرة إذا كانت من كلام الله وليست من كلام الملائكة فقوله ((أَمْرُ رَبِّكَ)) إظهار في مقام الإضمار قصد منه إدخال الروع في ضمير السامع[٢] ويلحظ في قوله تعالى: ((وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ)) تقرير لما سبق بيانه وتأكيده في نفس سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى يتيقن أن هذا أمر لا رجعة فيه لا بدعاء ولا بغيره[٣].

وبالمثل ورد هذا النمط في سياق التهديد الذي تمثل في قوله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) التغابن٥ – ٦.

إذ ابتدأ النص بالإيماء إلى عذاب دنيوي وآخر أخروي لوح بهما لقريش في حالة أنهم تلقوا نبيهم بمثل ما تلقت الأمم السابقة أنبياءها[٤] وفي قوله (ذَلِكَ) إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقته الأمم السابقة في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة [٥]، والباء في قوله ((بِأَنَّهُ)) سببية [٦]، والضمير فيها ضمير شأن[٧] الذي تقدم الجملة المفسرة وهي جملة (كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بقصد تهويل مضمونها الذي مفاده هو أن الكافرين أنكروا أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم بشرا ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا فكفروا وتولوا فأصابهم ما أصابهم بكفرهم. [٨]

---

(١) البحر المحيط ، ج٦ ، ص ١٨٥ .

(٢) التحرير والتنوير ، ج١٢ ، ص ١٢٤ .

(٣) إرشاد العقل السليم ، ج٣ ، ص ٣٣٥ .

(٤) التحرير والتنوير ، ج٢٨ ، ص٢٦٨ .

(٥) الكشاف ، ج٤ ، ص ١١٤ .

(٦) إرشاد العقل السليم ، ج٦ ، ص ٢٥٦ .

(٧) إعراب القرآن ، النحاس ، ج ٣ ، ص ٤٤٤ .

(٨) التفسير الكبير ، ج٣٠ ، ص ٢١ .

والاستفهام في قوله (أَبَشَرٌ) استفهام إنكار وإبطال، فهم أحالوا أن يكون بشر مثلهم يهدونهم لاعتقادهم بأنهم يماثلونهم في البشرية، وهذا من جهلهم بمراتب النفوس[١]

وقد تقدم المسند إليه (بشر) على المسند (يهدوننا) بقصد تقوية الإنكار وما قالوا ذلك حتى اعتقده، فلذلك أقاموا على الكفر برسلهم.[٢]

وفي قوله تعالى: ((وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ)) إطلاق قصد منه الأعمام يتناول كل شيء ومن جملته إيمانهم وطاعتهم[٣] .

كذلك ورد على هذا النمط قوله تعالى في سياق التسلية عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ) الأنعام٣٣ .

إذ روى الترمذي والحاكم عن علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله ((فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ)[٤] والآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاد الضمير في قوله تعالى: ((الَّذِي يَقُولُونَ)) إلى الكفار واللفظ يعم جميع أقوالهم الباطلة التي من ضمنها التكذيب[٥] ((لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ)) جملة مضارعة قد فسرت ضمير الشأن، الذي جيء به ليشير إلى حجم الحزن الذي أصاب النبي صلى الله عليه وسلم جراء تكذيب قومه له و هو صلى الله عليه وسلم لم يعهد عليه الكذب قط [٦]، وتصدير الخطاب بهذا الضمير أدى إلى بيان حجم هذا الحزن الذي بلغ منه صلى الله عليه وسلم كل مبلغ كما أن عظمة هذا الأمر عند الله تعالى

---

(١) التحرير والتنوير ، ج ٢٨ ، ص ٢٦٩ .

(٢) التحرير والتنوير ، ج٢٨ ، ص ٢٦٩ .

(٣) الكشاف ، ج ٤ ، ص ١١٤ .

(٤) أسباب نزول القرآن ، علي بن احمد الواحدي ، تحقيق : السيد احمد خضر ، ط١ ، دار الكتاب الجديد ، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م ، ص ١٢٣.

(٥) المحرر الوجيز ، ص ٦١٦ .

(٦) إرشاد العقل السليم ، ج ١٢ ، ص ٣٧٥ .

استدعت التمهيد بذلك الضمير إذ أن القصد من تقديمه أولا بما يحمله من إبهام ثم تفسيره ثانيا هو إنكار ذلك الفعل الصادر منهم لا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم في الحقيقة، بل يكذبون الله بجحودهم آياته.[١]

وفي قوله: (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) أقيم الظاهر (الظَّالِمِينَ) مقام المضمر تنبيها على أن علة الجحود هي الظلم [٢]، وهي مجاوزة الحد في الاعتداء[٣]، إذ يعد جحودهم هذا فنا من فنونه، كما أن الالتفات إلى الاسم الجليل (الله) قصد منه استعظام ما أقدموا عليه من جحود لآيات الله ،وقد أورد الجحود مورد التكذيب للإيذان بأن آيات الله تعالى من الوضوح بحيث لا يخفي صدقها على أحد وأن من ينكرها إنما يفعل ذلك بطريق الجحود الذي هو إنكار الشيء مع علمه بخلافه.[٤]

ثالثا: الجملة الشرطية

وردت الجملة الشرطية مفسرة لضمير الشأن في مواضع عديدة [٥] من القرآن الكريم وتشكلت في سياقات متنوعة منها ما ورد في سياق التهديد الذي تمثل بقوله تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) المائدة٧٢ .

إذ ابتدأت الآية بذكر قبائح النصارى وإبطال ما هم عليه [٦]، ليتناسب ذلك مع الإنتهاء في الآية السابقة المتضمنة إبطال ما عليه اليهود[١]، وذلك في قوله

---

(١) الكشاف ، ج٢ ، ص ١٤ .

(٢) الكشاف ، ج٢، ص ١٥ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، ص ٣١٥ .

(٤) إرشاد العقل السليم ، ج٢، ص ٣٧٥ .

(٥) ينظر على سبيل المثال أيضا السور : الأنعام / ٥٤ ، التوبة /٦٣ ، غافر / ١٢ ، الجن / ١٩ .

(٦) إرشاد العقل السليم ، ج٢ ، ص ٣٠٤ .

تعالى:(لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ) المائدة٧٠

وفي قوله تعالى: ((وَقَالَ الْمَسِيحُ)) جملة جاءت لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما أصروا عليه فقد قالوا إن مريم ولدت إلها[٢] أو قال المسيح عليه السلام رادا عليهم ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)) فإني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم[٣]، ولما كان الشرك أمراً عظمياً وظلماً كبيراً عند الله تعالى عبر عنه بإسلوب الإضمار والتفسير إذ تقدم ضمير الشأن الجملة المفسرة له المؤلفة من فعل الشرط وجوابه بقصد تفخيم مضمونها؛ لأن الشرك وصفه الله تعالى بأنه ظلم عظيم، فقد قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لقمان١٣

والمعنى بناءا على ذلك أن الشأن (من يشرك بالله) أي شيء في عبادته أو فيما يختص به من صفات الألوهيه، فقد حرم الله عليه الجنة لأنها دار الموحدين[٤]

ويلحظ أن إظهار الاسم الجليل (الله) في قوله تعالى: ((فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ)) موضع الإضمار قصد منه تهويل أمر الشرك وتربية المهابة في النفوس [٥]

وأن الجمع في قوله تعالى: ((مِنْ أَنصَارٍ)) هو لمراعاة المقابلة في قوله: ((لِلظَّالِمِينَ))، وقد أشارت الآية إلى أنه ليس لهم أحد ينصرهم بإنقاذهم من النار وإدخالهم الجنة لا بطريق المغالبة و لا بطريق الشفاعة[٦]

---

(١) التحرير والتنوير ، ج٦ ، ص ٢٨٠ .
(٢) إرشاد العقل السليم ، ج٢ ، ص ٣٠٤ .
(٣) البحر المحيط ، ج٤ ، ص ٣٢٩ .
(٤) الكشاف ، ج١ ، ص ٣٠٤ .
(٥) إرشاد العقل السليم ، ج٢ ، ص ٣٠٤
(٦) مرجع نفسه

والجملة في قوله تعالى: (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) تذييل مقرر لما قبله وهو إما من تمام كلام عيسى عليه السلام، وإما أنه وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها[١]

ومن ذلك أيضا ما ورد في سياق الموعظة ، وقد تمثل بقوله تعالى: ({قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ{٨٩} قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }) يوسف ٨٩ – ٩٠ .

فقد ابتدأت الآية باستفهام قصد منه التذكير والتوبيخ (٢) ، لأن إخوة يوسف أدركوا من الخطاب الذي وجهه إليهم أنه لا يستفهم ملك لم ينشأ بينهم ولا هو متتبع لأحوالهم عند صنيعهم فيما مضى من عمرهم (٣) ، وقد كان هذا التذكير الصادر من سيدنا يوسف عليه السلام دليلا على صدق الوعد الإلهي المتمثل [٤] بقوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ }) يوسف ١٥.

ويلحظ في قوله تعالى: ((أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ)) استفهام تقريري بدليل أنه أكد ب . (إن و اللام) وقد قالوه استغرابا وتعجبا[٥] ، فأجابهم بما هو زائد عن مسألتهم: ((أنا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا)) مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن بنيامين عليه السلام وتكملة لما أفاده قوله تعالى: ((هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ))[٦]

---

(١) البحر المحيط ، ج٤ ، ص ٣١٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٩ ، ص ١٦٧ .

(٣) البحر المحيط ، ج٦ ، ص ٣١٩ .

(٤) التفسير الكبير ، ج١٨ ، ص ١٦٢ .

(٥) إرشاد العقل السليم ، ج٣ ، ص ٤٢٦ .

(٦) المرجع نفسه .

والآية في قوله: ((إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }) تعليل لجملة ((قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا))[1] ، ولما كان أمر التقوى والصبر شيئا عظيما لا يستطيعه كل واحد صدرت الجملة بضمير الشأن [2] الدال على عظمة ما بعده من كلام، فقد أعطى هذا الضمير الجملة المفسرة بعده المكونة من فعل الشرط وجوابه، مزيد عناية واهتمام وترقب من السامع لأنه في تقدمه يجعل السامع يذهب في تصور مفضمون مابعده كل مذهب مما يجعل للجملة المفسرة بعده وقعا عظميا في النفس[3]

ومما تجدر الإشارة إليه أن سيدنا يوسف عليه السلام أراد بقوله: ((إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) تعليم أخوته وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر[4]، وفي قوله هذا تعريض بعم لأنهم لم يتقوا الله فيه ولا في أخيه وهذا من تفانين الخطاب إذ يغتنم الواعظ الفرصة المناسبة لإلقاء موعظته وهي لحظة تأثر السامع وإنفعالة بظهور شواهد صدق الواعظ في الموعظة[5] ووضع الظاهر وهو قوله (الْمُحْسِنِينَ) موضع المضمر في قوله: ((فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) تنبيها على أن المحسن هو من جمع بين التقوى والصبر.[6]

وبالمثل أيضا ورد هذا الاستعمال في سياق المحاورة التي جرت بين فرعون والسحرة وذلك في قوله تعالى: (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيى{٧٤} وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) طه ٧٤ – ٧٥.

---

(١) التحرير والتنوير ، ج١٣، ٤٩ .

(٢) مشكل إعراب القرآن ، ج١ ، ص ٣١٩ .

(٣) التبيان ، ج٢ ، ص ٧٤٤ .

(٤) التحرير والتنوير ، ج١٣ ، ص ٤٩ .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) الكشاف ، ج٢ ، ص ٣٤٢ .

إذ تحكي الآية قول السحرة لفرعون بعد إيمانهم بالله تعالى على إثر ما رأوا من الآيات البينات على يد سيدنا موسى عليه السلام[1]، وفي قوله تعالى: ((إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً))، وقوله تعالى: ((وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً)) إلى آخر الشرطين تعليل من جهة السحرة لكونه تعالى خيرا وأبقى جزاءا.[2]

ولما كان الإيمان والكفر من الأمور العظام التي تحدد مصير الإنسان في حياته الأبدية استهلت الجملتان الشرطيتان المذكورتان آنفا، الواقعتان خبرا وتفسيرا لضمير الشأن به[3]، قصد التنبيه على فخامة مضمونهما، لأن مناط وضع الضمير في هذا الموضع ادعاء شهرته المغنية عن ذكره أولا مع ما فيه من زيادة التقرير، إذ أن الضمير لا يفهم منه أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن[4] وكأنه قيل: إن الشأن الخطير هو قوله تعالى: ((مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً)) وذلك بأن من مات على الكفر والمعاصي فإن له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه ولا يحيا فيها حياة طيبة فينتفع بها ((وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً)) به تعالى وبما جاء من عنده من الهدى ومن جملة ما شاهده السحرة و((قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ)) وهي كل من استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل ((فَأُوْلَئِكَ)) لهم نتيجة ثواب أعمالهم و إيمانهم، الدرجات العلى.

---

(١) البحر المحيط ، ج٧ ، ص ٣٦٠ .

(٢) إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص ٢٩٦ .

(٣) التبيان ، ج٢ ، ص ٨٩٨ .

(٤) إرشاد العقل السليم ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .

المبحث الثاني

الجملة المفسرة في باب الاشتغال

تعد جملة الاشتغال من الجمل المفسرة وإن كان لها دور وظيفي آخر هو التوكيد، وقد قال بذلك أبو علي الشلوبين[١]، وأبو البقاء العكبري [٢]، وخالفهما في ذلك ابن هشام الذي نصّ على أنها ليست من الجمل المفسرة وإن حصل بها تفسير[٣] ويقول صاحب اللمحة أن الجملة المفسرة في باب الاشتغال هي مفسرة لجملة محذوفة لأن المعمول المتقدم هو مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده ولا يصح جعله معمولا للفعل المتأخر عنه لأن هذا الفعل قد انشغل عنه بالضمير بعده، ولا يجوز تعديته إليه من غير مسوق[٤]، إذ ذهب الكسائي إلى أن المفعول المتقدم هو معمول للفعل المتأخر عنه والضمير المتأخر عن الفعل ملغى[٥]، في حين ذهب الفراء إلى أن الفعل قد عمل في الاسم المتقدم والضمير المتأخر معا على اعتبار أنهما في المعنى لشيء واحد. [٦]

والذي تراه الدارسة أن ما أقره نحاة البصرة جدير بالاهتمام، ولا سيما أن ما ذهب إليه الكسائي والفراء لا يستقيم في نحو قولهم: (سعيدا مررت به) لأن الفعل (مر) لا يصح أن ينصب الاسم المتقدم كما لا يصح أن يلغ الضمير المجرور لأن الفعل لا يتعدى إليه إلا بالحرف، كذلك لا يستقيم ما ذهبا إليه في نحو قولهم: (زيدا هدمت داره) لأنه لا يصلح أن يتسلط الفعل على الاسم المتقدم عليه[٧].

---

(١) الإعراب عن قواعد الإعراب ، ص ٤٧ .

(٢) التبيان ، ج١ ، ص ٢٦٦ .

(٣) معنى اللبيب ، ج٢، ص ٤٠٣ .

(٤) شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : هادي نهر ، مطبعة بغداد ، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٥) جمع الجوامع ، ج٢ ، ص ١١٤ .

(٦) شرح التصريح على التوضيح ، ج١ ، ص ٢٩٧ .

(٧) شرح بن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، ط١٤ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م ، ج١ ، ص ٥١٨ .

وقد رصدت الباحثة مواضع كثيرة من هذا النمط في النص القرآني تشكلت من الفعل الماضي أو المضارع أو الأمر، وستقف عند نماذج لكل منها للدراسة والتحليل.

أولا: الجملة الماضية:

وردت الجملة المفسرة في باب الاشتغال ماضية في مواضع كثيرة(١) من النص القرآني، ويعد هذا النمط الأكثر ورودا، ومن ذلك قوله تعالى: (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً) النساء ١٦٤.

إذ وردت هذه الآية في سياق ذكر الأنبياء والرسل – عليهم السلام – وإعلام الرسول صلى الله عليه وسلم أخبارهم.

وقد فسرت جملة الاشتغال المؤلفة من الفعل الماضي وفاعله والمفعول به جملة محذوفة تقديرها: (قَصَصْنَا) قد عمل فعلها في الاسم المشغول عنه، وتقدير الكلام بناءا على ذلك: (قصصنا رسلا قد قصصناهم عليك) كما أنها قد أكدت مضمون تلك الجملة بما ماثلتها من اللفظ والمعنى.(٢)

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا التوجيه مبني على ما ذهب إليه البصريون، أما توجيه الكلام بناءا على مذهب أهل الكوفة فهو أن الاسم المتقدم معمول للفعل المتأخر(٣)، قدم للاهتمام به وعليه لا تفسير في الكلام، وقد مال إلى هذا الأخير طائفة من الدارسين منهم خليل عمايرة (٤)، وفاضل السامرائي(٥).

---

(١) ينظر على سبيل المثال السور : النساء / ٣٣ ، الأنعام / ٥٣ ، الأعراف / ٣٠ ، الأنبياء ٧٤ ، النور / ١ ، غافر / ٤٦ ، القمر / ٤٩ ، الرحمن / ٧ .

(٢) مشكل إعراب القرآن ، ج١ ، ص ٢١٣ .

(٣) شرح ابن عقيل ، ج١ ، ص ٥١٩ .

(٤) في التحليل اللغوي ، خليل عمايرة ، ط١ ، مكتبة المنارة ، الأردن ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ص ٦٢ .

(٥) معاني النحوي ، السامرائي ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩١م ، ج٢ ، ٥٥٤ .

وبالمثل ورد هذا النمط في قوله تعالى: (وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾) النحل٥، فقد وردت هذه الآية في سياق ذكر النعم التي من جملتها الأنعام، والخطاب فيها صالح لشمول المشركين وهم المقصودين ابتداءً من الاستدلال، فضلا عن ذلك فإنه يشمل جميع الناس.[١]

وقد فسرت جملة الاشتغال الماضية (خلقها) جملة محذوفة تقديرها (خلق) وقد عمل فعلها في الاسم المشغول عنه وتقدير الكلام (وخلق الأنعام خلقها لكم) وبناءً على ذلك فإن جملة الإشتغال، هنا لا محل لها من الإعراب لأنها قد فسرت جملة ابتدائية هي الجملة المحذوفة[٢]، ولعل مجيء الكلام باسلوب الاشتغال بما تضمنه من تكرار جملي مفيد (للتأكيد، بقصد تقوية الحكم اهتماما بما في الأنعام من فوائد، فيكون امتنانا على المخاطبين وتعريضاً بهم، فإنهم كفروا نعمة الله فجعلوا من نتائجها لشركائهم وجعلوا لله نصيبا، وأي كفران أعظم من أن يتقرب بالمخلوقات إلى غير من خلقها.[٣]

وعلى النمط نفسه ورد قوله تعالى: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) الإسراء١٠٦

والخطاب في الآية موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد فسرت جملة الاشتغال (فَرَقْنَاهُ) جملة محذوفة تقديرها (فرقنا) وقد عمل فعلها في الاسم المشغول عنه نصبا[٤]، وتقدير الكلام (فرقنا قرانا فرقناه، كما أنها أفادت فضلا عن التفسير توكيد مضمون الجملة المحذوفة نتيجة التكرار الجملي الحاصل في السياق[٥].

---

(١) التحرير والتنوير ، ج١٤ ، ص ١٠٤ .

(٢) التبيان ، ج٢ ، ص ٧٨٩ .

(٣) التحرير والتنوير ، ج ١٤ ، ص ١٠٤

(٤) مشكل إعراب القرآن ، ج١ ، ص ٤٣٥ .

(٥) في التحليل اللغوي ، ص ٢٦٢ .

ثانيا: الجملة المضارعة:

وردت الجملة المفسرة في باب الاشتغال مضارعة في مواضع عديدة [١] من النص القرآني، وتعد من حيث الكثرة بالمرتبة الثانية بعد الماضية ورودا في كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) الأنعام٣٦ .

إذ وردت هذه الآية في سياق تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما ألمّ به من حزن جراء إعراض المشركين عن الإيمان بدعوته[٢]، وقد فسرت جملة الاشتغال المضارعة (يَبْعَثُهُمُ) جملة محذوفة تماثلها من حيث اللفظ والمعنى تقديرها (يبعث) وقد عمل فعلها في الاسم المشغول عنه نصباً.[٣]

ومنها قوله تعالى: (قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ{١٧} مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ{١٨} مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ{١٩} ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ{٢٠}) عبس ١٧ – ٢٠ .

والآية ذكرت بيان الأطوار التي يمر بها الإنسان من نشوئه حتى مماته ، وقد فسرت جملة الاشتغال المضارعة (يَسَّرَهُ) جملة محذوفة تماثلها من حيث اللفظ والمعنى تقديرها (يسر) وتقدير الكلام (ثم يسر السبيل يسره)[٤]

وقد ورد هذا النمط أيضا في القراءات القرآنية من ذلك قرأت من قرأ (الشعراء) بالنصب[٥] في قوله تعالى: ({ وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ{٢٢٤} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ{٢٢٥} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ{٢٢٦}) الشعراء ٢٢٤ – ٢٢٦.

---

(١) ينظر على سبيل المثال : النساء / ١٢٢ ، الأنعام / ١٦ ، إبراهيم / ٢٨ ، القمر ٢٤ .

(٢) المحرر الوجيز ، ص ٦١٨ – ٦١٩ .

(٣) التبيان ، ج١ ، ص ٤٩٣ .

(٤) مشكل إعراب القرآن ، ج٢ ، ص ٨٠١ .

(٥) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع ، ابن خالويه ، دار الهجرة ، مصر ، ١٩٣٤م ، ص ١٠٨ . (هي قراءات عيسى بن عمر الثقفي)

أظهرت هذه الآية بيان حال الشعراء أتباعهم من الضالين ويلحظ أن جملة (يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) جملة مضارعة قد فسرت جملة محذوف قد عمل فعلها في الاسم المشغول عنه نصبا [١]، وتقدير الكلام (ويتبع الشعراء يتبعهم الغاوون).

والشعراء هنا لفظ عام يدخل تحته حكم ما بعده جميع الشعراء[٢]، إلا من استثناهم الحق سبحانه وتعالى من المؤمنين المتبعين سبيل الرشاد.

ثالثا: الجملة الأمرية:

وردت الجملة الأمرية مفسرة في باب الاشتغال، في مواضع عدة منها قوله تعالى: ({ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ }) البقرة ٤٠ .

فقد وردت هذه الآية في سياق تهديد بني إسرائيل، والخطاب فيها لمن عاصر منهم النبي صلى الله عليه وسلم [٣]، واختلف في حقيقة العهد في الآية، إذ ذهب جمع من المفسرين إلى أن العهد الذي عاهدوا الله عليه هو الإيمان به تعالى ولزوم طاعته، وعهده – جل شأنه – إليهم هو حسن الثواب على ما يفعلون من الحسنات(٤)

ويحتمل أن يكون المراد من عهدهم الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز القرآن الكريم [٥]، ويدل عليه قوله تعالى: ({ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ }) البقرة٤١. والعهد لفظ إلى المعاهد والمعاهد على حد سواء. [٦]

---

(١) إعراب القرآن ، النحاس ، ج٢ ، ص ٥٠٥ .

(٢) البحر المحيط ، ج٨ ، ص ٢٠٠ .

(٣) روح المعاني ، ج١ ، ص ٢٤١ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج١ ، ص ٣٠٧ .

(٥) الكشاف ، ج١ ، ص ٢٧٦ .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج١، ص ٣٠٧.

وجملة الاشتغال الأمرية (فارهبون) قد فسرت جملة محذوفة تماثلها لفظا ومعنى تقديرها: (وإياي ارهبوا فارهبون)[١]، وقد سقط الضمير المشغول به (الباء) من السياق مراعاة للفاصلة القرآنية[٢]، والعكبري ذهب إلى تقدير الفعل المحذوف العامل في الضمير المشغول عنه قبله والتقدير: (وارهبوا إياي فارهبون)[٣]

وقد اعترض على ذلك مكي بن أبي طالب[٤] وأبو حيان [٥]، وذهبا إلى أن تقدير الفعل المحذوف يكون بعد الضمير لا قبله لأنه ضمير منفصل، فإذا ما قدر الفعل قبله لزم الاتصال.

وبالمثل ورد هذا النمط في قوله تعالى: ({وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ }) البقرة٤١.

إذ جاءت هذه الآية عقب الآية السابقة في هذا السياق والخطاب موجه للفئة نفسها وهم بنو إسرائيل المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد فسرت جملة الاشتغال الأمريه (فاتقون) جملة محذوفة تقديرها: (إياي اتقوا فاتقون)[٦] ، وقد أدى تقدير العامل في الضمير المشغول عنه بعده وليس قبله إلى إفادة تخصيص التقوى بالله تعالى دون سواه، والمراد بالتقوى هنا: الإيمان وإتباع الحق والإعراض عن الاشتراء بآيات الله تعالى الثمن القليل والعرض الزائل[٧].

وكذلك يمكن ملاحظة هذا النمط من الجمل في قوله تعالى: ({إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ{١٢} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن

(١) مشكلة إعراب القرآن ، ج١، ص ٩٠ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ج١ ، ص ٢٢٧ .
(٣) التبيان ، ج١ ، ص ٥٧ .
(٤) مشكل إعراب القرآن ، ج١ ،ص ٩ .
(٥) البحر المحيط ، ج١ ، ص ٢٨٤
(٦) البيان ، ج١ ، ص ٧٧ .
(٧) روح المعاني ، ج١ ، ص ٢٤٣ .

يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ{١٣} ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ{١٤}) الأنفال ١٢ – ١٤.

فقد أشارت هذه الآية إلى صنفين من العذاب الإلهي.

الأول: دنيوي تمثل بضرب (البنان والقتل والأسر).

والثاني: أخروى تمثل بما أعد الله للكافرين من أنواع العذاب[١]، جزاءا بما أقدموا عليه من مشاقة الله ورسوله[٢].

وقد فسرت جملة الاشتغال الأمرية (فذوقوه) جملة محذوفة تقديرها (ذوقوا ذلكم فذوقوه)[٣] ومعنى الكلام التوبيخ للكافرين. [٤]

ويحتمل قوله: ((وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ)) العطف على (ذلكم) أو النصب على المفعول معه، والمعنى: ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل في الآخرة[٥]، وقد وضع الظاهر موضع المضمر لتوبيخهم بالكفر، وللدلالة على أنه سبب العذاب الآجل.[٦]

---

(١) البحر المحيط ، ج٥ ، ص ٢٨٨ .

(٢) الكشاف ، ج٢ ، ص ١٤٨ .

(٣) التبيان ، ج٢، ص ٦١٩ .

(٤) الجامع الأحكام القرآن ، ج٧ ، ص ٢٤١ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٣ ، ص ٩٤ .

(٦) إعراب القرآن ، للنحاس ، ج١ ، ٩٧٠ .

المبحث الثالث
الجملة المفسرة في سيــاق الشرط

من الأهمية عند دراسة هذا النمط من الجمل تقديم توطئة نبين فيها مفهوم النحاة لطبيعة الجملة الشرطية.

فالبصريون يرون أن الأصل في تركيب الجملة الشرطية أن تتقدم الأداة جملتين أولاهما جملة (الشرط) والأخرى جملة الجواب[١] وعليه فكل ما تمرد على هذا الأصل من النصوص أعملوا فيه أفكارهم تأويلا وتخريجا حتى يعاد إلى قواعدهم التي وضعوها على وفق معطيات نظرية العامل.[٢]

في حين ذهب الكوفيون إلى أن الأصل في الجزاء أن يكون مقدما على الشرط [٣]وعليه فلم يحتاجوا إلى تأويل أو تخريج للجمل الشرطية التي حصل فيها مثلا تقديم الجواب عن موضعه، لأنها متوافقة مع أصولهم النحوية.

والباحث في الجملة المفسرة في سياق الشرط في النص القرآني الكريم يجد أنها وردت فيه على ثلاثة أشكال تركيبية، ويمكن وصف النمط التركيبي لكل منهما بما يأتي:

الشكل الأول: ويتألف من: أداة الشرط + فاعل ، فعل الشرط + فعل الشرط + جملة الجواب .

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف : أبو البركات الانباري ، تحقيق : محمد محي الدين ، ط٤ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ج٢ ،١٣٨٠هـ – ١٩٦١م ، ص ٦٢٧ .

(٢) الإقتراح في علم أصول النحو : السيوطي ، تحقيق : الحمصي ، ط١ ، جروس ابرس ، ١٩٨٨م ، ص ٥٨ .

(٣) الإنصاف ، ج٢ ، ص ٦٢٣ .

وتجده في قوله تعالى: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) النساء١٢٨.

الشكل الثاني: ويتألف من: جواب الشرط + أداة الشرط + جملة الشرط .

ويمثله قوله تعالى: (قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) آل عمران٩٣

الشكل الثالث: ويتألف من: بداية جواب الشرط + أداة الشرط + جملة الشرط + تتممة الجواب.

ويمثله قوله تعالى: (قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) البقرة٧٠

وقد أطلق عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي على الشكل الثاني مصطلح (الترتيب العكسي)، وعلى الشكل الثالث مصطلح (الترتيب الشرطي المتقاطع)[١]، في حين هناك من آثر مصطلح (الاكتناف)[٢]، على الشكل الثالث بدلا عن المصطلح الأخير.

والذي تراه الدارسة أن هذا المصطلح جدير بالاهتمام، ولا سيما أنه يمتلك كل مقومات النجاح على صعيد الشكل والوظيفة، فضلا عن ذلك فإنه مصطلح ولد من رحم الدرس النحوي العربي، إلا أنه لم ينل حظه من الشهرة والبحث[٣]، إذ قال أبن هشام مشيرا إليه عند حديثه عن حذف جملة جواب الشرط: (وذلك واجب إن تقدم عليه أو اكتنفه ما يدل على الجواب، فالأول: نحو، هو ظالم إن فعل، والثاني هو إن فعل ظالم) [٤]

---

(١) الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية ، ص ٣٨ – ٣٩ .

(٢) الإكتناف في بناء الجملة الشرطية القرآنية ، طلال إبراهيم الطوبجي ، (بحث مقبول للنشر في مجلة آداب الرافدين ، ص ١ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) مفتي اللبيب ، ج٢ ، ص ٦٤٧ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاشتراك الوظيفي في هذا النوع من الجمل قائم على معطيات الخلاف النحوي بين المذهبين البصري والكوفي، إذ ما يراه أهل الكوفة على أنه فعل قدم على فاعله لمزيد من العناية والإهتمام ويرى أهل البصرة أنه معمول لفعل محذوف يفسره المذكور بعده.

وما يراه أهل الكوفة على أنه جواب لفعل الشرط قدم على فعل الشرط لأن الأصل فيه التقديم، يراه البصريون أنه دليل على الجواب المحذوف وتفسير له، ولمزيد من الإيضاح سنقف عند نماذج من هذه الجمل في القرآن الكريم للدراسة والتحليل عارضين من خلالها آراء النحاة ومذاهبهم.

فمن أمثلة الشكل الأول[١]، الذي صيغته التركيبة هي: أداة الشرط + فاعل فعل الشرط + فعل الشرط + جملة الجواب.

قوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ) التوبة٦.

إذ جاءت هذه الآية لتستثني عموم الأمر بالقتل للمشركين في الآية السابقة بعد انسلاخ الأشهر الحرم.[٢]

ولفظ (أَحَدٌ) مرتفع بفعل مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لأن (إن) لا تدخل إلا على الفعل[٣]، وهي حرف شأنها أن يكون شرطها نادرا الوقوع[٤]، وقد ابتدأ بما للتنبيه من أول الأمر على أن هذا شرط فرضي لكيلا يزعم المشركون أنهم لم يتمكنوا من لقاء النبي صلى الله عليه وسلم فيتخذون ذلك عذرا للإستمرار على الشرك [٥]،

(١) ينظر على سبيل المثال أيضا السور : النساء / ١٢٨ – ١٧٦ ، الحجرات / ٩ ، المرسلات / ٢٨ ، التكوير / ١ .
(٢) التفسير الكبير ، ج١٥ ، ص ١٨١ .
(٣) إعراب القرآن ، النحاس ج٢ ، ص٥ .
(٤) همه الهوامع ، ج١ ، ص ٢٠٦ .
(٥) التحرير والتنوير ، ج١٠ ، ص ١١٧ .

وهذا التوجيه ينسب إلى البصريين كما اشرنا في توطئة البحث، وقد خالف في ذلك أهل الكوفة، إذ رأوا أن الاسم المتقدم هو فاعل فعل الشرط [١]، قد قدم لغرض بلاغي هو الاهتمام والعناية[٢]، وعليه فلا تفسير في السياق.

في حين أجاز الأخفش في هذه الآية وجها آخر مفاده أن المتقدم مبتدأ والجملة التي بعده خبرا له.[٣]

ومما ورد على هذا النمط أيضا قوله تعالى: (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً) الإسراء ١٠٠، فقد جاءت هذه الآية لتكشف بعض ما جبل عليه الإنسان من سجايا متمثلة بالبخل و الشح (٤)، والخطاب فيها لمشركي قريش وهو صالح لجميع الناس[٥]، وقد فسرت جملة (تملكون) جملة محذوفة واقعة في سياق الشرط تقديرها (تملكون)، لأن (لو) حقها أن تدخل على الأفعال[٦] لا الأسماء فلا بد إذا من فعل بعدها وتقدير الكلام (لو تملكون تملكون خزائن رحمة ربي)[٧]، قال الزمخشري: (فأضمر تملك إضمارا على شريطة التفسير)(٨)، وقد أفاد هذا الحذف والتفسير (المبالغة مع الإيجاز والدلالة على الاختصاص)[٩]، وأبدل الواو في تملك المحذوفة وهو ضمير متصل بضمير منفصل وهو أنتم وذلك لسقوط ما يتصل به من اللفظ[١٠]، وهذا التوجيه هو ما يقتضيه

---

(١) معاني القرآن ، الفراء ، ج١ ، ص ٤٢٢

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه ، ص ١٧٢ .

(٣) معاني القرآن ، الأخفش ، ج٢، ص ٣٢٧ .

(٤) الكشاف ، ج٢، ص ٤٦٨ .

(٥) التحرير والتنوير ، ج١٥، ص ٢٢٣ .

(٦) شرح ابن عقيل ، ج٢، ص ٣٨٧.

(٧) إعراب القرآن ، النحاس ، ج٢، ص ٢٦١.

(٨) الكشاف ، ج٢، ص ٤٦٨.

(٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٣، ص ٤٦٨.

(١٠) الكشاف ،ج٢، ٤٦٨.

صناعة الإعراب، وهو يمثل رأي أهل البصرة في هذا النمط من الجمل[١]، في حين ذهب أهل البيان إلى إجازة رأي آخر مفاده أن (أنتم) هو المسند إليه قدم على المسند (تملكون) للدلالة على اختصاص الناس بالشح المتبالغ[٢]، وهذا التخريج متفق مع وجهة النظر الكوفة[٣]، وعليه (فالواو) المتصلة في تملكون تكون علامة على الجمع كما في لغة يتعاقبون فيكم، لأن الفعل في السياق قد اسند إلى ظاهر هو الضمير (أنتم) (٤) ومثلها قوله تعالى: ({إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ }) التكوير ١.

نصت هذه الآية على أحد الأحداث الكونية العظيمة التي تدل على قيام الساعة والمتمثل بتكوير الشمس.[٥]

وجملة كورت فسرت جملة محذوفة على شريطة التفسير تقديرها: (إذا كورت الشمس كورت) لأن (إذا) فيها معنى الشرط والشرط يقتضي الفعل، فلا يجوز أن يحمل على غيره، وهذا رأي الجمهور[٦]، في حين ذهب الكوفيون إلى أن (الشمس) فاعل مرتفع بما عاد إليه من الفعل[٧]، قدم عليه لغرض التهويل[٨]، وعليه فلا تفسير في الآية، وأجاز الأخفش أن يكون قوله (الشمس) مبتدأ وما بعده خبر له، وحجتهم في ذلك أن (إذا) ليس من الأدوات المختصة ولأن التقدير يدخل في الأصل.

ومما تجدر الإشارة إليه إن الإفتتاح بـ(إذا) يتضمن تشويقاً للسماع لأن (إذا). ظرف يستدعي متعلقا، وفيه معنى الشرط المؤذن بذكر الجواب بعده فإذا سمعه

---

(١) الإنصاف ، ج٢ ، ص ٦١٦

(٢) الكشاف ، ج٢ ، ص ٤٦٨ .

(٣) المقتضب ، ج٣ ، ص ٧٧ .

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، جمال الدين بن مالك الأندلسي ، تحقيق : طه محسن ، طبع دار آفاق العربية ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ص ٢٤٧ .

(٥) فتح البيان ، ج١٥ ، ص ٩٣ .

(٦) الكتاب ، ج١ ، ص ١٠٧ .

(٧) الإنصاف ج٢، ص ٦١٦ .

(٨) معاني النحو ، ج٢، ص ٤٧٤ .

السامع ترقب ما سيأتي بعده فعندما يسمعه يتمكن في نفسه كمال التمكن[١] حتى إذا انتقلنا إلى الشكل الثاني الذي تمثل في عدد من الآيات القرآنية[٢]، والذي يمكن وصف صيغة التركيبة بما يأتي:

جواب الشرط + أداة الشرط + جملة الشرط

فسنقف أولا عند قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ المائدة١٧ .

فقد جاءت هذه الآية في معرض الرد على من ادعى ألوهية سيدنا عيسى عليه السلام[٣]، وجملة (فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً) موضع خلاف بين النحاة وقد اشرنا إلى ذلك في توطئة المبحث، إذ ذهب الكوفيون إلى أن هذه الجملة هي جملة جواب الشرط المتأخر، لأن الأصل عندهم تقديم الجواب على فعل الشرط[٤]، في حين ذهب البصريون إلى أن هذه الجملة هي دليل وتفسير للجواب المحذوف، لأن الأصل عندهم أن يتقدم فعل الشرط على الجواب لأنه بمنزلة الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام، فكما لا يجوز أن يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله فكذلك الشرط.[٥]

تؤيد الدراسة مذهب أهل الكوفة، لأنه لا يحوجنا إلى تقدير محذوف والتقدير كما هو معلوم خلاف الأصل، ولا سيما في النصوص القرآنية[٦].

وبالمثل ورد هذا النمط في قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ الأنعام١١٨.

---

(١) الإنصاف ، ج٢، ص ٩٢٠ .

(٢) التحرير والتنوير ، ج٣٠ ، ص ١٤٠ .

(٣) ينظر السور الآتية مثلا : آل عمران / ٩٣ ، المائدة / ١٠٦ ، الأنبياء ٦٣ ، الطور / ٣٤ .

(٤) جامع البيان ، ج٦ ، ص ١٥٩ .

(٥) الإنصاف ج٢، ص ٦٢٣ .

(٦) رصف المباني ، ص ١٠٦ .

جاءت هذه الآية في سياق الرد على المشركين وإبطال شعرائهم الفاسدة، قال الواحدي: إن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (الله تعالى قتلها) قالوا: أفتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الصقر والكلب حلال، وما قتله الله حرام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١]

وقوله تعالى: ((فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ)) هو جملة الجواب لدى الكوفيين قدم على فعل الشرط وهو ((إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ)) لأن الأصل عندهم تقديمه كما أسلفنا[٢]، وهو دليل على الجواب المحذوف وتفسير له عند البصريين[٣]، وقد وافقهم في ذلك عدد من المفسرين منهم أبو السعود[٤] والآلوسي إذ قال الأخير: ((وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه))[٥].

والأمر في قوله تعالى: ((فَكُلُواْ)) للإباحة، وأن الخطاب في هذا السياق هو للمؤمنين دون سواهم من الخليقة[٦].

ومثله قوله تعالى: ({وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }) النحل٤٣.

فقد ابتدأت الآية بالتعريف بالمشركين[٧]، والخطاب فيها لمشركي قريش[٨] فقد أنكروا نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا،

---

(١) أسباب النزول ، ١٢٨ .

(٢) ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ، عبد اللطيف الشرجي ، تحقيق : طارق الجنابي ، ط١ ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ص ١٣٠ .

(٣) الإنصاف ، ج٢، ص ٦٢٨ .

(٤) إرشاد العقل السليم ، ج٢، ص ٤٣٦ .

(٥) روح المعاني ، ج٨ ، ص ١٣ .

(٦) التحرير والتنوير ، ج٨ ، ص٣١ .

(٧) التحرير والتنوير ، ج ١٤ ، ص ١٦١ .

(٨) البحر المحيط ، ج٦ ، ص ٥٣٣ .

فهلا بعث إلينا ملكا[١]، فنزلت هذه الآية لترد عليهم.

وجملة (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ) هي جملة الجزاء عند الكوفيين قدمت على جملة الشرط (إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) لأن الأصل فيها ذلك[٢]، وهي عند البصريين دليل وتفسير لجواب الشرط المحذوف، والتقدير: (إن كنتم لا تعلمون فسألوا أهل الذكر)[٣]

حتى إذا انتقلنا إلى الشكل الثالث من أشكال بناء الجملة الشرطية، والذي يمكن وصف صيغته التركيبة بما يأتي: بداية جواب الشرط + أداة الشرط + جملة الشرط + تتممة الجواب.

لاحظنا أنه يتمثل في عدد من الآيات[٤] منها قوله تعالى: ((قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ{١٤} قُلْ إِنّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) الأنعام ١٤ – ١٥.

فقد جاءت هذه الآية ردا على دعوة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أوثانهم، والظاهر أن الخوف فيها على بابه وهو توقع المكروه[٥]، وذهب أبن عباس – رضي الله عنه – إلى انه بمعنى (اعلم) [٦]

ويلحظ أن الجملة الشرطية مكتنفة بين الفعل (أخاف) والمفعول به (عذاب يوم عظيم) وقد اختلف النحاة في توجيه هذا الشكل من الجمل، فأهل البصرة يرون أن قوله تعالى: ((إِنْ عَصَيْتُ رَبّي)) جملة شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبله عليه،

---

(١)الكشاف ، ج٢، ص ٤١١ .

(٢) الإنصاف ، ج٢ ، ص ٦٢٣ .

(٣) الإنصاف ، ج٢ ، ص ٦٢٨ .

(٤) ينظر مثلا إلى السور : البقرة / ٧٠ ، ٢٤٦ ، النساء / ١٠٢ ، المائدة /١٠٦ ، الكهف / ٦٩ ، النور / ٣٣ .

(٥) البحر المحيط ، ج٤ ، ٤٥٤ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، ج٦، ص ٢٥٦ .

والتقدير (إن عصيت ربي أخف عذاب يوم عظيم) فالمذكور المتقدم على فعل الشرط هو دليل وتفسير لتلك الجملة المحذوفة[١].

في حين رأى أهل الكوفة أن المذكور المتقدم هو الجواب لأن الأصل عندهم تقدمه وإن تأخر بعض أجزائه[٢]، وعليه فلا حذف ولا تفسير في السياق.

ترى الدارسة أن هذا الشكل يختلف في بناءه عن بناء الجملة الشرطية في الشكلين الأول والثاني من حيث إن الجواب فيه قد اكتنف فعل الشرط بين دفتيه إذ تقدم جزء منه على فعل الشرط وتأخر عنه الجزء الآخر[٣]، وهو أسلوب روعي فيه المعنى، إذ تقدم الأهم على المهم، ولما كان الجزء المتقدم يمثل مرتكز الكلام[٤] قدم على فعل الشرط وبقية الجزاء في الشكل ليتطابق بذلك مع المعنى المقصود وهو هنا إظهار خوفه صلى الله عليه وسلم من الله وخضوعه له.

ويتضح هذا الاستعمال في قوله تعالى: ({ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ }) يوسف٩٩

حكت لنا هذه الآية قصة استقبال سيدنا يوسف عليه السلام لأبيه وهو قادم من البدو مع إخوته[٥]، وقوله (ادْخُلُواْ مِصْرَ) فيه قولان أحدهما: أن يكون سيدنا يوسف قد ضرب مضربا خارج البلد نزل فيه، ثم دخلوا عليه فآوى إليه أبويه أي ضمهما وعانقهما، ثم قال لأبيه وأخوته ادخلوا مصر[٦]، والآخر: أنهم دخلوا عليه في

---

(١) البحر المحيط ، ج٤ ، ص ٤٥٤ .

(٢) الإنصاف ، ج٢ ، ص ٦٢٣ .

(٣) الجملة العربية في شعر عروة بن أذينه ، ضياء الدين الفلاحي ، مطبعة التعليم العالي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩م ، ص ٢٦٨ .

(٤) الاكتناف في بناء الجملة الشرطية القرآنية ، ص ٣ .

(٥) التفسير الكبير ، ج١٨ ، ص ١٦٧ .

(٦) الكشاف ، ج٢ ، ص ٣٤٤ .

مصر وأراد بقوله (ادخلوا مصر): تمكنوا واستقروا فيها إن شاء الله آمنين أي من القحط والمكاره.[١]

وجملة الشرط وهي قوله (إن شاء الله) وقعت مكتنفة بين دفتي الجواب، وأصل الكلام في غير القرآن (إن شاء الله ادخلوا مصر آمنين)، ولكنه قدم جزءا من الجواب وهو (ادخلوا مصر) وأبقى الحال الذي يمثل الجزء الآخر في مكانه فاكتنف الجواب جملة الشرط الدالة على المشيئة، ولعل في ذلك إشارة إلى أن بداية كل حدث ونهايته متعلقة بالمشيئة الإلهية، فليست المقدمات تؤدي حتما إلى النتائج إلا باقترانها بتلك المشيئة[٢]، في حين ذهب الزمخشري إلى التوجيه الذي كان شائعا عند جمهور النحاة، فقال: (فإن قلت بم تعلقت المشيئة؟ قلت: بالدخول مكيفا بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه). [٣]

وكذلك يمكن ملاحظة هذا الشكل في قوله تعالى: ({ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }) يوسف ١٠٣ .

فقد نزلت هذه الآية في سياق تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ روى أن قريشا واليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف، فنزلت مشروحة شرحا وافيا في سورة يوسف عليه السلام وأمل النبي أن يكون ذلك سببا لإسلامهم فخالفوا ما أمله، فعزاه الله تعالى بهذه الآية الكريمة [٤].

---

(١) روح المعاني ، ١٣ ، ص ٥٧ .

(٢) الاكتناف في بناء الجملة الشرطية القرآنية ، ص ٦ .

(٣) الكشاف ، ج٢ ، ص ٣٤٤ .

(٤) البحر المحيط ، ج٦ ، ص ٣٣٠ .

وجملة الشرط (ولو حرصت) مكتفة بين اسم (ما) وخبرها، وجواب (لو) محذوف على رأى أهل البصرة، لأن الجواب لا يتقدم في مذهبهم على الأداة[١]، وقال ابن جني: من ذلك قولهم: أنت ظالم إن فعلت، ألا تراهم يقولون في معناه: (إن فعلت فأنت ظالم)، فهذا ربما أوهم أن (أنت ظالم) جواب مقدم، ومعاذ الله أن يقدم جواب الشرط عليه، وإنما قوله: (أنت ظالم) دال على الجواب ساد مسده، فأما أن يكون هو الجواب فلا، وعليه فالجزاء المتقدم في الآية تفسير للجواب، ودليل عليه والتقدير: (ولو حرصت فما أكثرهم بمؤمنين)[٢].

في حين ذهب أهل الكوفة إلى أن المتقدم هو الجواب، لأن الأصل في الكلام عندهم: (وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت).

(١) الأصول في النحو ، ج٢ ، ص ١٩٦ .

(٢) الخصائص ، ج١ ، ص ٢٨٣ .

المبحث الرابع

جملة الاستئناف البيـــــاني

لا بد لي والدراسة عن جملة الاستئناف البياني من الإشارة إلى الفرق بينهما وبين جملة الاستئناف النحوي، إذ أن الجملة المستأنفة نحويا هي: (المنقطعة عما قبلها)(١) لفظا ومعنى، في حين أن الجملة المستأنفة بيانياً هي الواقعة: (جوابا لسؤال مقدر)(٢)، أي إنها ترتبط بما قبلها معنىً لا لفظاً.

وحاول الشنواني التفريق بين النمطين، إذ ذكر أن الجملة المستأنفة بيانيا لا تكون كاشفة لحقيقة ما تليه، بل للمعنى المسؤول عنه(٣)، فتكون بذلك مغايرة للجملة التفسيرية التي يقصد منها كشف حقيقة المتقدم عليها.

والذي تراه الدارسة أن ما ذكره يحتاج إلى تأمل، إذ أن الجملة المفسرة تقوم بتفسير المبهم الذي تضمنته الجملة السابقة لها وإيضاحه، وجملة الاستئناف البياني تقع جوابا عن سؤال يُنْشئه الكلام المتقدم عليها لوجود نوع من الغموض فيه فتقوم بإزالته وعليه فلا يوجد اختلاف كبير من وجهة نظر الباحثة بين وظيفة الجملتين، إذ أن كلا منهما تؤدي في السياق الذي ترد فيه الوظيفة ذاتها.

ولأجل إلغاء مزيد من الضوء لإيضاح هذه المسألة سأعمد إلى اختيار شواهد من النصوص القرآنية تدعم هذه النتيجة.

---

(١) مفتي اللبيب ، ج٢ ، ص ٣٨٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٨٣ .

(٣) حاشية الشنواني على شرح مقدمة الإعراب ، الشنواني ، تحقيق : محمد شمام ، ط٢ ، مطبعة النهضة ، تونس ، ١٣٧٣ ، ج١ ، ص ١٠١ .

وقد تنوع ورود هذا النمط من الجمل في القرآن الكريم بين الجملتين الفعلية والاسمية، و كان الطابع الفعلي هو السائد فيها.

أولا: الجملة الفعلية:

انحصرت الجملة الفعلية في هذا النمط في قسمين: جمل ماضية وجمل مضارعة .

ومن شواهد القسم الأول[١] قوله تعالى: ({أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ }) البقرة٢١٤.

فقد نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وأنواع الأذى[٢]، وقيل في يوم احد [٣] .

و(أم) في الآية موطن الشاهد منقطعة والهمزة فيها للإنكار[٤]، وللإضراب وهو انتقال من كلام إلى آخر [٥]، وتدل أيضا على استفهام لكنه استفهام تقديري.[٦]

و(لما) في قوله تعالى: ((وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ)) فيها معنى التوقع وهي في ذلك نظيرة (قد)[٧] ، إذ إن كلا منهما يكون الفعل بعدها متوقع الوقوع[٨]، وهي أبلغ في النفي من (لم) لأن النفي فيها متصل بالزمن الحاضر[٩].

---

(١) ينظر إلى السور : البقرة / ٣٠ ، ٣٢ ، ٦١ ، وآل عمران /٣٧ ، ٣٨ ، النساء / ٧٧ ، ٩٧ ، المائدة ، ١ .
(٢) أسباب النزول ، ص ٦٠ .
(٣) البحر المحيط ، ج٢ ، ص ٣٧١ .
(٤) الكشاف ، ج١ ، ص ٣٥٥ .
(٥) البحر المحيط ، ج٢ ، ٣٧١ .
(٦) مرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٧٢ .
(٧) الكشاف ، ج١، ص ٣٥٥ .
(٨) روح المعاني ، ج٢ ، ص ١٠٣ .
(٩) رصف المباني ، ص ٢٨١ .

واختلف في قوله تعالى: ((مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء))، إذ ذهب الزمخشري[١]، والعكبري[٢]، وأبو حيان[٣]، والبيضاوي[٤]، إلى أنها جملة مستأنفة بيانيا للمثل، وكأن قائلا قد قال: كيف كان ذلك المثل؟ فقيل مستهم البأساء والضراء.

في حين ذهب ابن هشام[٥] وخالد الأزهري[٦]، والشنواني[٧]، إلى أنها تفسيرية لا محل لها من الإعراب، وعليه فالآية تؤدي وظيفة التفسير على الوجهين.

ومما ورد على هذا النمط أيضا قوله: ({ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }) آل عمران٥٩.

فقد وردت هذه إليه في سياق الرد على وفد نجران عند قدومهم على الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قالوا له: مالك تشتم صاحبنا ؟ قال: وما اقول ؟ قالوا: تقول: إنه عبد الله، قال: اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء، فغضبوا، وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير أب؟ فإن كنت صادقا فأرنا مثله فأنزل الله هذه الآية. [٨]

وقوله تعالى: ((خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ)) جملة اختلف النحاة في إعرابها، إذ ذهب الزمخشري[٩]، والعكبري[١٠]، وأبو حيان[١١]، وابن هشام[١٢]،

---

(١) الكشاف ، ج١، ص ٣٥٥ .
(٢) التبيان ، ج١ ، ١٧١ .
(٣) البحر المحيط ، ج٢ ، ص ٣٧٣ .
(٤) أنوار التنزيل ، ج١ ، ص ٤٩٧ .
(٥) مفتي اللبيب ، ج٢ ، ص ٤٠٠ .
(٦) موصل الطلاب ، ص ٣٧ .
(٧) حاشية الشنواني ، ج١ ، ص ١٠٤ .
(٨) البحر المحيط ، ج٣، ص ١٨٣
(٩) الكشاف ، ج١ ، ص ٤٣٣ .
(١٠) التبيان ، ج١ ، ص ٢٦٧ .
(١١) البحر المحيط ، ج٣ ، ص ١٨٦ .
(١٢) مفتي اللبيب ، ج٢ ، ص ٣٩٩ .

والبيضاوي[١]، وأبو السعود[٢]، والآلوسي[٣] إلى أنها مفسرة لا محل لها من الإعراب، في حين ذهب ابن الأنباري[٤]، إلى أنها مستأنفة بيانيا في موضع رفع لأنها خبر مبتدأ محذوف.

حتى إذا انتقلت إلى القسم الآخر من هذا النمط من الجمل، ونعني به الجمل المستأنفة بيانيا التي تؤدي وظيفة التفسير والمصدرة بفعل مضارع فسنجده ممثلا في عدد من آيات الذكر العزيز، ومن شواهده [٥] قوله تعالى: ({ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ }آل عمران ١١٠

فقد روى أنها نزلت في ابن مسعود وأُبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل عندما قال لهم بعض اليهود: ديننا خير ما تدعوننا إليه ونحن خير وأفضل[٦]، وقيل نزلت في المهاجرين[٧].

وفي قوله تعالى: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ)) استئناف سبق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير[٨]، وقد خرج مخرج الثناء من الله عليهم[٩]، و (كنتم) من (كان) الناقصة التي تدل على تحقيق شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق[١٠]، كما في قوله تعالى: ({وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }) النساء٩٦، قال البيضاوي: (دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل

---

(١) أنوار التنزيل ، ج٢ ، ص ٤٦ .

(٢) إرشاد العقل السليم ، ج١ ، ٣٧٧ .

(٣) روح المعاني ، ج٣ ، ص ١٨٥ .

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ، ج١، ص ٢٠٦ .

(٥) ينظر أيضا السور : النساء / ٩٨ ، المائدة / ٨٣ ، الأنعام / ٤٣ .

(٦) أسباب النزول ، ص ١١٣ .

(٧) البحر المحيط ، ج٣ ، ص ٢٩٩ .

(٨) إرشاد العقل السليم ، ج٢، ص ١٧ .

(٩) البحر المحيط ، ج٣ ، ص ٣٠١ .

(١٠) الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٧٥م ، ج١ ، ص ١٦٨ .

على انقطاع طرأ)[1]، وذهب أبو حيان إلى ان (كان) كسائر الأفعال يدل لفظ الماضي فيها على الانقطاع، ثم إنها قد تستعمل حين لا يكون انقطاع وفرق الدلالة والاستعمال ألا ترى أنك تقول هذا اللفظ يدل على العموم إلا انه استعمل في الدلالة على الخصوص[2]، ومعنى قوله (أخرجت) أي ظهرت وأبرزت ومخرجها الله تعالى وحذف الاسم للعلم به[3] .

وقوله تعالى: ((تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)) جملة تحتمل أن تكون مستأنفة بيانيا، وقد قال بالاحتمالين العكبري[4] والبيضاوي[5]، في حين ذهب الزمخشري إلى الاحتمال الثاني[6]، وعلى كلا الاحتمالين فإنهما كشفت لنا عن جوانب خيرية الأمة المحمدية وما امتازت به من الأمم الأخرى، وصيغة الأمر (تأمرون وتنهون) تدل على الاستمرار، وخطاب المشافهة وإن كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل[7]، قال الزجاج: ((هذا الخطاب أصله أنه خوطب به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر أمته))[8]

ومن الشواهد القرآنية على هذا النمط أيضا قوله تعالى: ({ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ{١٠} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{١١} يَغْفِرْ لَكُمْ }) الصف ١٠ – ١٢ .

(١) أنوار التنزيل ، ج٢ ، ص ٧٨ .
(٢) البحر المحيط ، ج٣ ، ص ٣٠٠ .
(٣) المرجع نفسه .
(٤) التبيان ، ج١ ، ص ٢٨٤ .
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٢، ص ٧٨ .
(٦) الكشاف ، ج١، ص ٤٥٥ .
(٧) إرشاد العقل السليم ، ج٢، ص ١٦ .
(٨) معاني القرآن و إعرابه ، الزجاج ، ج١، ص ٣٨٣.

فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن بعض المؤمنين قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزل قوله تعالى: ((هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)) فمكثوا ما شاء الله يقولون: ليتنا نعلم ما هي، فدلهم الله عليها بقوله تعالى: ((تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{١١} يَغْفِرْ لَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }))[١] قال الزمخشري: وهذا دليل على أن (تؤمنون) كلام مستأنف[٢] وقع جوابا عما نشأ قبله، كأنهم قالوا كيف أو ماذا نصنع ؟ فقال: تؤمنون وهو خبر في معنى الأمر والمعنى (آمنوا)[٣]، بديل قراءة ابن مسعود (آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله[٤] بصيغتي الأمر، ومجيء (يغفر) بالجزم في جوابه على حد قولهم: اتقي الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه وليفعل خيرا يثب عليه[٥]، وذهب ابن هشام إلى أن جملة (تؤمنون) تفسيرية لا محل لها من الإعراب فسرت التجارة في قوله تعالى: ((هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ))، ويؤيد هذا الرأي ما ذكره الفراء من أن قوله (يغفر لكم) بالجزم هو جواب للإستفهام في قوله هل أدلكم وليس جواباً للأمر[٦] المتشكل بهيئة الخبر في قوله: (تؤمنون) أستشكل هذا التوجيه الزجاج بقوله: (ليس إذا دلهم النبي على ما ينفعهم غفر لهم إنما يغفر الله لهم إذا آمنوا وجاهدوا)[٧]، وقد وافقه في رده هذا أبو حيان إذ قال: (واستبعد هذا التخريج)[٨] وصحح ابن هشام ما ذهب إليه الفراء بقوله: (وعلى الأول هو جواب الاستفهام

---

(١) الكشاف ، ج٤ ، ص ٩٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الكشاف ، ج٤، ص ٩٩ .

(٤) معاني القرآن ، الفراء ، ج٣، ص ١٥٤.

(٥) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، ص ٣٨ .

(٦) مفتي اللبيب ، ج٢ ، ص ٣٩٩ .

(٧) معاني القرآن ، الفراء ، ج٣، ص ١٥٤ .

(٨)معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، ج ٥ ، ص ١٣١ .

وصحح ذلك تنزيلا لسبب السبب وهو(الدلالة) منزلة السبب وهو الامتثال إذا الدلالة سبب الامتثال[١] وعليه تكون جملة (تؤمنون) تفسيرا للتجارة وجواب الاستفهام هو قوله (يغفر لكم).

ثانيا: الجملة الاسمية:

قد تتشكل جملة الاستئناف البياني من مركب اسمي أيضا، ويكون هذا المركب مزدوج الوظيفة فهو مستأنف بيانيا، أي هو جواب لسؤال مقدر، ويقوم في الوقت عينه بوظيفة التفسير، وقد ورد هذا النمط في عدد من الآيات القرآنية منها[٢] قوله تعالى: ((فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ{٢٢٢} نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)) البقرة ٢٢٢ – ٢٢٣.

فقد روى أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها أحولا، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كذبت اليهود فنزل قوله تعالى: ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ))[٣] جملة مفسرة لما أبهم وأجمل في قوله تعالى: ((مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ)) قال الزمخشري: (فإن قلت: ما موقع قوله تعالى: ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)) مما قبله ؟ قلت: موقعه موقع البيان والتوضيح[٤]

قال ابن هشام أي (عن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث)[٥]، وذهب أبو حيان إلى أن الإطلاق الذي تضمنه قوله تعالى: ((فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ)) يقتضي تسويغ إتيانهن على سائر أحوال الإتيان وقد أكد الله تعالى ((أَنَّى شِئْتُمْ)) وهو ما يدل على سائر الكيفيات إلا أنه قد حصر موضع الوطء في موقع

---

(١) البحر المحيط ، ج١٠ ، ص ١٦٧ .

(٢) ينظر أيضا السور : النساء / ٩٤ ، ١٠١ ، المائدة / ٨ ، ٦٠ ، الأنعام / ٦٢ .

(٣)أسباب النزول ، ص ٦٩ .

(٤) الكشاف ، جا، ص ٣٦١

(٥) مفتي اللبيب ، ج٢، ص ٣٩٣ .

واحد هو موقع الحرث، فجاءت هذه الجملة مبينة ومفسرة للإعمام الذي تضمنه النص المتقدم[١].

وقد تحمل هذه الجملة ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)) على الاستئناف البياني فهي مشابهة لجملة (هن لباس لكم) من قوله تعالى: ((أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ)) البقرة ١٨٧ .

إذ أنها جمله لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة مبينة لسبب الإحلال.[٢]

ومما ورد على النمط نفسه قوله تعالى: ({مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ }) محمد١٥

إذ جاءت هذه الآية توصيفا لما في الجنة من نعيم[٣].

ويلحظ أن قوله تعالى: ((مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)) استئناف مسوغ لشرح محاسن الجنة الموعودة للمؤمنين وبيان كيفية أنهارها التي تجري من تحتها[٤]، وقد عبر عن مستحقيها بالمتقين إيذانا بأن الإيمان والعمل الصالح من باب التقوى التي هي عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات[٥]، واختلف في إعراب قوله تعالى: ((مَثَلُ الْجَنَّةِ)) إذ ذهب سيبويه إلى أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره (فيما يلي

---

(١) البحر المحيط ، ج٢، ص ٤٢٧ .

(٢) الكشاف ، ج١، ص ٣٣٧ .

(٣) التحرير والتنوير ، ج١٦، ص ٩٤ .

(٤) إرشاد العقل السليم ، ج ٩ ، ص ٨٧ .

(٥) إرشاد العقل السليم ، ج٦ ، ص ٨٧ .

عليكم مثل الجنة)[١] وهذا يعني أنه قدر الخبر قبل المبتدأ، وذهب النضر بن شميل[٢].

وابن عطية[٣] إلى انه مبتدأ خبره محذوف تقديره (مثل الجنة ما تسمعون) وعليه فالخبر مقدر بعد المبتدأ، وقد مال أبو السعود إلى هذا الرأي وقال: هذا التوجيه انسب لصدر النظم الكريم[٤].

والجملة الاسمية في قوله تعالى: ((فِيهَا أَنْهَارٌ)) قد اختلف في توجيهها، إذ ذهب النضر بن شميل إلى أنها تفسير للخبر المقدر[٥]، في حين نص الزمخشري.[٦]

والعكبري[٧]، والبيضاوي[٨]، على أنها استئنافية شارحة لمعنى المثل وكأن قائلا قد قال: (وما مثلها ؟ فقيل: فيها أنهار)[٩].

---

(١) الكتاب ، ج١، ص ١٤٣.

(٢) المحرر الوجيز ، ص ١٧٢

* والنضر :/ هو النضر بن شميل بن خرشه بن يزيد بن كلثوم ، بصري الأصل أخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي وعن فصحاء الأعراب ، توفى سنة (٢٠٣هت) أو (٢٠٤هـ) وله كتاب كبير يحتوي على عدة كتب يعرف بـ (الصفحات) ومنه أخذ أبو عبيدة القاسم بن سلام كتابه (غريب المصنف) ، ينظر : الفهرست ، (ابن النديم) تحقيق : رضا تجوة بن علي ، طهران ، ١٣٥٠هت – ١٩٧١م ، ج ١٣ ، ص ١٠١ .

(٣) المحرر الوجيز ، ص ١٧٢٠ .

(٤) إرشاد العقل السليم ، ج٦ ، ص ٨٧ .

(٥) المحرر الوجيز ، ص ١٧٢ .

(٦) الكشاف ، ج٣، ٥٣٣ .

(٧) التبيان ، ج٢، ص ١٦١ .

(٨) أنوار التنزيل ، ج٥، ص ١٩٠ .

(٩) الكشاف ، ج٣، ص ٥٣٣ .

المبحث الخامس

الجملة التفسيرية المصدرة بـ (أنَّ) المشددة

تحدثت في الفصل الاول عن أدوات التفسير وذكرت أن جمهور النحاة لم يعدوا (أنَّ)المفتوحة الهمزة المشددة النون من أحرف التفسير لأنها حرف مصدري يفيد التوكيد[١].

ولعل الفراء أول من ألمح إلى تأدية هذه الأداة وظيفة التفسير[٢] فضلا عن وظيفتها الأساسية التي أشرت إليها آنفا، وقد وافقه في ذلك من المحدثين علي حيدر[٣]، والطاهر بن عاشور، وجعل لها الأخير من الشروط ما لـ(أنْ) المفسرة إذ قال:وأرى أن حرف(أنّ) المفتوحة الهمزة المشددة النون إذا وقعت بعد ما فيه معنى القول دون حروفه أن تكون مفيدة للتفسير مع التأكيد[٤].

ولأجل إلقاء مزيد من الضوء على هذه المسألة ساعمد إلى اختيار نماذج قرآنية أبين من خلالها هذه المسألة، فمن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ({فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ } آل عمران٣٩.

فقد وردت هذه الآية في سياق بيان قصة ولادة سيدنا يحيى عليه السلام[٥] قال تعالى: ({هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء }) آل عمران٣٨

---

(١) الجني الداني ، ص ٤٠٢ .

(٢) معاني القرآن ، ج١، ص ٤٧٢ .

(٣) إعراب سورة آل عمران ، ص ٧٣.

(٤) التحرير والتنوير ، ج٩، ص ٢٥٧ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٢، ص ٢٦

و(أن) في قوله تعالى: ((أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى)) أدت وظيفتين في الآية تمثلت الأولى بتوكيد معنى الخبر[١] لأن المنادى في السياق قد أنزل منزلة الحائر المتردد وذلك لغرابة الخبر الذي أخبر به[٢]، وتمثلت الثانية بتفسير حقيقة النداء الصادر من الملائكة، إذ إن البشارة هي عين مضمون النداء الذي نودي به سيدنا زكريا عليه السلام[٣] وقوله ((مُصَدِّقاً)) حال لازمه[٤] من سيدنا (يحيى) عليه السلام دلت على أنه كان كامل التوفيق لا يتردد في تصديق كلمة تأتي من لدن الله[٥]، وهي من حيث الزمن مستقبله، لأن زمنها بعد التبشير[٦].

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ({وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}) المائدة٤٥.

فقد جاءت هذه الآية للرد على اليهود الذين حرفوا أحكام التوراة، ولا سيما فيما يتعلق بالحدود الألهية، فقد روى أن بني النضير جعلوا دية أفراد قبيلتهم أكثر من دية غيرهم من أفراد اليهود[٧]، فجاءت هذه الآية لترد على تحريفهم.

و(أنَّ) في قوله تعالى: ((أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ)) أدت في السياق وظيفتين: تمثلت الأولى بتوكيد مضمون ما بعدها من الأخبار[٨]، المتمثل بالقصاص العادل في القتل وفي الأحكام الأخرى المنصوص عليها في الآية، وتمثلت الثانية بتفسير

---

(١) رصف المباني ، ص ١٢٥ .
(٢)التحرير والتنوير ، ج٣ ، ص ٢٣٩ .
(٣) إعراب سورة آل عمران ، ص ٧٣ .
(٤) إعراب القرآن ، النحاس ، ج١، ص ٣٢٩ .
(٥) التحرير والتنوير ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .
(٦) معاني النحو ، ج٢، ٧١١.
(٧) البحر المحيط ، ج٤، ص٢٧١ .
(٨) رصف المباني ، ص ١٢٥ .

الإجمال وتفصيله[١]، وهو دل عليه قوله تعالى: ((كَتَبْنَا)) إذ إن ما بعد (أن) المشددة ما هو إلا عين المفروض في التوراة من حيث المعنى، وقد ألمح ابن عاشور إلى هذه الحقيقة بقوله: (قد اتفق القراء على فتح همزة (أنّ) هنا لأن المفروض في التوراة ليس هو عين هذه الجمل، ولكن المعنى الحاصل منها وهو العوضية والمساواة فيها)[٢]

وبالمثل ورد هذا النمط في قوله تعالى: ({ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ }) الأنفال٩.

فقد جاءت هذه الآية لتحكي لنا حال الجمع المؤمن عند لقائه العدو في معركة بدر[٣]

و(إذ) في قوله تعالى: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ)) تحتمل أن تكون متعلقة بما قبلها فيكون العامل فيها قوله تعالى: ({لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}) الأنفال٨. في الآية السابقة، وقد قال بهذا الرأي الطبري[٤].

وتحتمل أن تكون مستأنفة على تقدير (واذكروا إذ تستغيثون) وعليه يكون ما بعدها كلاما جديدا منقطعا عما قبله، وقد قال بهذا بهذا الرأي النحاس[٥].

و(أن) في قوله تعالى: ((أَنِّي مُمِدُّكُم)) أدت وظيفة تفسيرية في السياق، فضلا عن وظيفتها المعروفة المتمثلة بتوكيد المعنى[٦]، إذ بين قوله تعالى: ((أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ }) مضمون قوله تعالى: ((فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)) لما فيه من إجمال لا نتبين معه طبيعة هذه الإستجابة. قال ابن عاشور مؤكدا هذه الوظيفة لـ

---

(١) التحرير والتنوير ، ج٩، ص ٢٧٥ .
(٢) التحرير والتنوير ، ج٦، ص ٢١٤ .
(٣) البحر المحيط ، ج٥ ، ص٢٧٨ .
(٤) جامع البيان ، ج٩ ، ص ٢٢٣ .
(٥) إعراب القرآن ، النحاس ، ج١، ص ٦٦٦ .
(٦) التحرير والنوير ، ج٩، ص ٢٧٥ .

(أنّ) المشددة في السياق: (ومن تأمل بإنصاف وجد متأنه معنى قوله تعالى: ((أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ)) في كون (أنّ) تفسيرية دون كونها مجرورة بحرف جر محذوف[١].

وفي قوله ((مُرْدِفِينَ)) قراءتان، إذ قرأ الجمهور بكسر الدال (٢)، في حين قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بفتحها[٣]، فعلى القراءة الأولى يكون قوله ((مُرْدِفِينَ)) اسم فاعل، والمعنى عليه: أنهم يأتون فرقة بعد فرقة [٤]، كالقوم الذين اردفوا على الدواب[٥]، وعلى القراءة الثانية يكون قوله (مُرْدِفِينَ) اسم مفعول، والمعنى عليه أن الله تعالى أردف المسلمين وأيدهم بهذا الجمع المبارك من الملائكة[٦].

ومن شواهد هذا النمط أيضا قوله تعالى: ({وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ }) الحجر ٦٦.

إذ يلحظ أن الفعل (قَضَيْنَا) في الآية قد تعدى بحرف الجر (إلى) لأنه تضمن معنى (أوحينا)[٧]، والتقدير (أوحينا إليه). ومعاد الضمير في قوله (إليه) هو سيدنا لوط عليه السلام[٨]، وقد تضمن قوله (ذلك الأمر) إبهاما فسرته جملة ((أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ})[٩]، المصدرة بـ (أن) المفتوحة الهمزة المشددة النون، التي ازدوجت وظيفتها في السياق لتقوم بتفسير مضمون الأمر، قبلها من جهة [١٠]، وتأكيد مضمون الخبر بعدها من جهة أخرى[١١] وفي إبهام (الأمر) أولا ،ثم تفسيره ثانيا مع

(١) التحرير والتنوير ، ج٩ ، ص ٢٧٥ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، ج٢، ص ٣٢٦ .
(٣) معاني القرآن ، الفراء، ج١، ص ٤٠٤ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، ج٢، ص ٣٢٦ .
(٥) معاني القرآن ، الفراء ، ج١، ص ٤٠٤ .
(٦) التفسير الكبير ، ج١٥، ص ١٠٥.
(٧) الكشاف ، ج٢، ص ٣٩٤ .
(٨) البحر المحيط ، ج٦، ص ٤٨٨ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، ج٣، ص ١٤٩ .
(١٠) التحرير والتنوير ، ج١٤، ص ٦٥ .
(١١) رصف المباني ، ص ١٢٥ .

الإشارة إليه باسم الإشارة (ذلك)، المستعمل في الإشارة إلى البعيد تفخيم لمضمونه وتعظيم له[١] ونشير هنا إلى أن ما ذكره ابن هشام من أن الرأي المشهور عن النحاة في الجملة المفسرة هو أنها لا محل لها من الإعراب، وان المخالف في ذلك هو أبو علي الشلوبين[٢] غير دقيق، فقد سبق الزجاج الشلوبين إلى القول بالمحلية الإعرابية للجملة المفسرة عند إعرابه للآية التي نحن بصددها، إذ ذهب إلى أن محل (أن) في قوله تعالى: ((أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ}) هو النصب على البدل من قوله تعالى: ((ذَلِكَ الأَمْرَ)) وهي وما بعدها مفسرة لمضمون الأمر، والتقدير بناءا على ما ذهب إليه ((وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ))[٣] فيكون الزجاج بذلك أول من ذهب إلى القول بالمحلية الإعرابية للجمل المفسرة. وفي قوله تعالى ((مَقْطُوعٌ)) عدول إذ عدل عن صيغة المضارع إلى صيغة المفعول[٤] في السياق لأنها ادخل في الدلالة على وقوع الحدث[٥] ومعنى (مُّصْبِحِينَ) أي داخلين في الصبح وهو حال[٦] من اسم الإشارة في قوله تعالى: ((أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ))

---

(١) التفسير الكبير ، ج١٩، ص ١٦٠ .

(٢) الإعراب عن قواعد الإعراب ، ٤٦ – ٤٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، ج٣ ، ص ١٤٩ .

(٤) إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص ٢٨ .

(٥) معاني الأبنية ، ص ٥٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، ج٣ ، ص ١٤٩ .

المبحث السادس

جمـــــــل أخـــــرى

ويضم هذا المبحث ثلاث جمل تؤدي كل منهما دورا وظيفيا مشتركا في عدد من النصوص القرآنية، وهذه الجمل هي:

أولا: الجملة الحالية:

تعرف الجملة الحالية بأنها تلك (الجمل التي تبين هيئة صاحبها)[١]. وهناك تباين بين الجملتين يعد من أسس التفريق بينهما، إذ إن الجملة الحالية عند جمهور النحاة تكون خبرية[٢]. في حين وردت الجملة التفسيرية خبرية وإنشائية[٣] فضلا عن ذلك فإن لجملة الحال شروطا شكلية لا تتحقق في الجملة التفسيرية، إذ لابد فيها من رابط يربطها بصاحب الحال سواء أكان هذا الرابط حرف الواو أم الضمير[٤] وهو ما لا يشترط في جملة التفسير .

ومع أن الفرق واضح بين الجملتين الحالية والتفسيرية، إلا أن ذلك لم يمنع عددا من النحاة والمفسرين من حمل عدد من الجمل الواردة في عدد من الآيات القرآنية على النمطين في السياق الواحد. من ذلك[٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلّونَهُ عَاماً وَيُحَرّمُونَهُ عَاماً لّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ التوبة٣٧.

---

(١) إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص ١٧٨ .

(٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص ١١٢.

(٣) مغني اللبيب ، ج٢ ، ص ٤٠٠ – ٤٠١ .

(٤) شرح المفصل ، ج٢، ص ٦٥.

(٥) ينظر على سبيل المثال أيضا السور : البقرة / ٣٩ ، النساء / ٩٨ ، الأحزاب / ١٣ .

فقد وردت هذه الآية في سياق الرد على المشركين المستحلين حرمات الله في الأشهر الحرم، إذ من المعلوم أن هذه الأشهر لا يجوز القتال فيها، إلا أن المشركين كانوا يتلاعبون بأوقاتها بغية الإعتداء[١].

والنسيء يطلق على الشهر الحرام الذي أرجئت حرمته وجعلت لشهر آخر[٢].

وصيغة القصر في قوله تعالى: ((إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ)) تقتضي أن النسيء لا يعدو كونه من أثر الكفر لمحبة الإعتداء فهو قصر حقيقي[٣]، وجملة (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ) خبر ثان عن النسيء، ومعناه استمرار ضلالهم لما اقتضاه الفعل المضارع من التجدد[٤]، والجملتان في قوله تعالى :((يُحِلّونَهُ عَاماً وَيُحَرّمُونَهُ عَاماً)) تحتملان التفسير[٥] على أنهما تفسير لمضمون قوله تعالى: ((يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ)) إذ عملت هاتان الجملتان على تفسير وتوضيح ما أبهم من معنى في هذا القول وتوضيحه، وتحتملان النصب على الحال من الاسم الموصول[٦] في قوله تعالى: ((الَّذِينَ كَفَرُواْ)).

وبالمثل جاءه هذا النمط في قوله تعالى: ({وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً }) الأحزاب١٣ .

---

(١) البحر المحيط ، ج٥، ص ٤١٤ .
(٢) التحرير والتنوير ، ج١١، ص ١٨٩ .
(٣) التحرير والتنوير ، ج١، ص ١٩١ .
(٤) المرجع السابق ج،١، ص ١٩٢ .
(٥) انوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٣، ص ١٤٤ .
(٦) التبيان ، ج٢، ص ٦٤٤.

أتت هذه الآية في سياق تكذيب المنافقين[١] المشار إليهم بلفظ الطائفة[٢]، وقد اختلف فيهم، فذهب أغلب المفسرين إلى أنهم أوس بن قريظة وأتباعه، وقيل هم عبد الله بن أبي سلول وأصحابه[٣].

وقوله تعالى: ((يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ)) جملة تحتمل التفسير[٤] على أنها تفسير لمضمون قوله ((وَيَسْتَأْذِنُ)) إذ إن قوله تعالى: ((يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ)) هو استئذان إلا أنه بطريق التلميح، وتحتمل أن تكون حالا[٥] من الفاعل في قوله تعالى: ((وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ)).

والذي تراه الدارسة أن هذه الجملة قد ازدوجت وظيفتها في السياق، فهي كشفت لنا طبيعة الاستئذان وكيفيته من جانب، ويتبين في الوقت ذاته حال المنافقين في استئذانهم.

حتى إذا انتقلنا إلى شاهد آخر، فإننا سنقف عند قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}) الحشر ٢ .

إذ نزلت هذه الآية في بني النضير الذين نكثوا عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم على إثر معركة أحد[٦] فأراد النبي صلى الله عليه وسلم جلاءهم من حصونهم عقوبة لهم، فأبوا ذلك، وكانت لهم حصون يتمنعون بها وكانوا قوما أولي

(١) البحر المحيط ، ج٨، ص ٤٦٠ .
(٢) الكشاف ، ج٣، ص ٢٥٢ .
(٣) أنوار التنزيل ، ج٤، ص ٣٦٦ .
(٤) التبيان ، ج٢، ص ١٠٥٣.
(٥) البحر المحيط ، ج٨، ص ٤٦٠ .
(٦) أسباب النزول ، ص ٤٤١.

بأس ومنعة وعدة وعدد (١) وقوله تعالى: ((يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ)) جملة تحتمل أن تكون تفسيرا لمضمون كلمة الرعب من قوله تعالى: ((وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)) فهي قد كشفت لنا عن حجم الخوف والفزع الذي اعترى بني النضير إلى حد أنهم عمدوا إلى بيوتهم تخريبا وهدما وما ذاك إلا اضطراب في الرأي والفكر أحدثه ذلك الرعب المقذوف في قلوبهم(٢).

وتحتمل أن تكون في محل نصب حال من الضمير (هم) من قوله تعالى: ((قُلُوبِهِمُ)) وعليه تكون هذه الجملة مبينة لحال بني النضير بعد أن قذف الله الرعب في قلوبهم، وليست مفسرة لمضمون الرعب(٣).

والذي تراه الدارسة أن هذه الجملة أدت وظيفة جملتين في سياق واحد، فهي فضلا عن ترجمتها لمعنى الرعب المقذوف في قلوب بني النضير وإيضاحه كشفت لنا عن حالهم بعد إصابتهم بهذا الرعب.

ثانيا: الجملة البدلية:

البدل مصطلح بصري(٤) يعرف بأنه (التابع المقصود بالحكم بلا واسطة)(٥)، وإنما ذكر المتبوع قبله للتوطئة والتمهيد(٦) ليكون بذلك كالتفسير بعد الإبهام(٧) ويسميه الكوفيون الترجمة والتبيين والتكرار(٨)، ويبدوا أن هذه التسميات جديرة بالاهتمام ولا سيما أنها تكشف لنا عن الغرض اللغوي من البدل، ولأنها أدق في التعبير عن

---

(١) الكشاف ، ج٤، ص ٧٩ .

(٢) أنوار التنزيل ، ج٥، ص ٣١٦ .

(٣) التبيان ، ج٢، ص ١٢١٥ .

(٤) المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، عوض حمد القوزي ، ط١، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، ص ١٦٣.

(٥) شذوذ الذهب ، ص ٥٦٧ .

(٦) المفصل في علم العربية ، ص ١٢٢ .

(٧) النحو القرآني ، ص ٥٠٠ .

(٨) ارتشاف الضرب ، ج٢، ص ٦١٩ .

الوظيفة التي يؤديها في السياق، إذ إن البدل من حيث الوظيفة يقوم بإيضاح المبدل منه وتفسيره بما يزيل عنه كل لبس أو توهم قد يعتريه[1]، وهو من حيث الشكل على أربعة أقسام:

الأول: بدل اسم من اسم: ومثاله قوله تعالى: ({ اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ{٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ }) الفاتحة ٦ – ٧

فـ(صراط) بدل (الصراط) بدل كل من كل[2].

الثاني: بدل فعل من فعل: ويبدل الفعل من الفعل بدل كل بلا خلاف نحو قوله تعالى: ({ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً {٦٨} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً })الفرقان٦٨– ٦٩ .

فـ(يُضَاعَفْ) بدل من يلق بدل كل لأن مضاعفة العذاب هي لقى الآثام[3].

الثالث: بدل جملة من مفرد: وقد أجازه ابن جني[4]، و الزمخشري [5]، وابن مالك[6]، ومثاله قوله تعالى: ({وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ }) النحل٣٠ .

فإن جملة (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ) الاسمية في محل نصب بدل من قوله (خَيْراً) الواقع مفعولا به لفعل محذوف تقديره (أنزل خيرا).

---

(١) حاشية الشنواني ، ج١، ص ٧٦ – ٧٧.

(٢) جامع الدروس العربية ، ج٣، ص ٣٤٠ .

(٣) همع الهوامع ، ج٢ ، ص ١٢٨ .

(٤) ارتشاف الضرب ، ج٢، ص ٦٢٦ ، ولم أعثر على هذا الرأي لا في الخصائص ولا في الهمع .

(٥) الكشاف ، ج٣، ص ٣٩٤ .

(٦) تسهيل الفوائد ، ص١٧٣ .

الرابع: بدل جملة من جملة: وقد أجاز هذا النوع ابن الأنباري (١) والعكبري(٢)، والشلوبين(٣)، وأهل البيان(٤)، في حين نص ابن هشام على انه لم يثبت الجمهور وقوع البيان والبدل جملة(٥).

وبعض المعربين قد أشاروا إلى وجود هذا النوع من الجمل قال الدماميني: قد أجازوا في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ{١٣٢} أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ{١٣٣} وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ الشعراء ١٣٢ – ١٣٤.

أن تكون جملة أمدكم الثانية بدلا من الأولى(٦).

والذي يعنينا من هذه الأقسام القسمان الأخيران، وهما مجيء البدل جملة، إذ إن للجملة البدلية وكما اشرنا في مقدمة هذه الفقرة دورا وظيفيا يتلخص بالإيضاح والتبيين بما تقوم به من تخصيص لعام أو تفصيل لمجمل أو تعيين لمحتمل، وبذلك فهي تقارب ما للجملة التفسيرية من دور وظيفي في السياقات التي ترد فيها(٧) ومن شواهدها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ البقرة٤٩.

إذ وردت هذه الآية في سياق ذكر نعمة الانجاء من عذاب فرعون(٨)، و(إذ) في قوله تعالى: ((وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم)) اسم زمان(٩)، وليست ظرفا وهي في محل نصب

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات الأنباري ، تحقيق : طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٠هت – ١٩٧٠م ، ج١،ص٤٢١.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ،ج٢، ص ٩٧٨ .

(٣) الإعراب عن قواعد الإعراب ، ص ٤٦ – ٤٧ .

(٤) حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ، مصطفى بن محمد عرفة الدسوقي ، المطبعة الميمنة ، مصر ، ١٣٠٥هـ ، ج٢، ص ٥٩ .

(٥) مغني اللبيب ، ج٢ ، ص ٤٠٣ .

(٦) المصنف من الكلام على مغني ابن هشام (حاشية السمني) : السمني ، المطبعة البهية ، مصر ، ١٣١٥هت ، ج٢، ص ١٣٠ .

(٧) ينظر على سبيل المثال أيضا السور : البقرة /١٠٢ ، إبراهيم / ٢١ ، النحل / ٣٠ .

(٨) التفسير الكبير ، ج٣، ص ٤٣ .

(٩) الجني الداني ، ص ١٨٨ .

مفعولا به والتقدير (واذكروا وقت انجائنا إياكم)[١]، ولما غلب إضافة أسماء الزمان إلى الجمل وكان معنى الجملة بعدها في معنى المصدر عدل من الإتيان بالمصدر إلى الجملة لما في الجملة من استحضار للتكوين العجيب المستفاد من هيئة الفعل لأن الذهن إذا تصور المصدر لم يتصور إلا معنى الحدث، أما إذا سمع الجملة الدالة عليه تصور حدوث الفعل وفاعله ومفعوله ومتعلقاته دفعة واحدة[٢].

وجملة (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ) موضع خلاف بين النحاة، إذ ذهب الزجاج[٣]، والزمخشري[٤] والرازي[٥]، إلى أنها جملة تفسيرية بينت وفصلت الإجمال في قوله تعالى: ((يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ)) إذ إن الذبح والاستحياء من جملة العذاب، وهما أشد أنواعه وطأة على النفس الإنسانية، في حين ذهب الاسكافي(٦)، والقرطبي (٧)، والغرناطي[٨]، والآلوسي[٩] من القدماء، وصاحب كتاب النحو القرآني[١٠] من المحدثين إلى أنها تحتمل البدلية أيضا، وعليه فهي بدل بعض من كل، وعلى كلا الرأيين فإن هذه الجملة المتصدرة بالفعل المضارع قد أدت وظيفة تفسيرية بيانية أتضح من خلالها ما أجمل وأبهم من أصناف العذاب في قوله تعالى: ((يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ)).

---

(١) التحرير والتنوير ، ج١، ص ٤٨٩ .

(٢) التحرير والتنوير ، ج١، ص ٤٨٩ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، ج١، ص ١١٩ .

(٤) الكشاف ، ج١، ص ٢٧٩ .

(٥) التفسير الكبير ، ج٣، ص ٦٤ .

(٦) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز : الخطيب الاسكافي ، ط١، دار الآفاق ، بيروت ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ، ص ١٣ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ، ج١، ص ٢٦١ .

(٨) ملاك التأويل ، الغرناطي ، تحقيق : سعيد الفلاح ، ط١، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هت – ١٩٨٣م ، ج١، ص ٢٠٢ .

(٩) روح المعاني ، ج١، ص ٢٥٢ .

(١٠) النحو القرآني ، ص ٥٠٤ .

وبالمثل ورد هذا النمط في قوله تعالى: ({ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ{٤١} تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ }) غافر ٤١ – ٤٢.

فقد ذكرت هذه الآية في سياق الإنكار والتوبيخ(١)، إذ بدأ الرجل المؤمن الداعي قومه إلى سبيل الرشاد بذكر المتسبب عن دعوته ودعوتهم، وأبدى التفاضل بينهما، ولما ذكر المسببين، ذكر سببها وهو دعاؤهم إلى الكفر والشرك ودعاؤه إياهم إلى الإيمان والتوحيد(٢).

ويلحظ أن الآية مبدوءة بجملة اسمية بعد النداء وهي قوله تعالى: ((مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ)) ومختومة أيضا بجملة اسمية هي: ((وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ }) ولعل السبب في ذلك أن هذا الأسلوب أبلغ في توكيد الأخبار من غيره(٣).

وقوله تعالى: ((تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ)) جملة تحتمل أن تكون تفسيرية لمضمون الجملة المتقدمة عليها في قوله تعالى: ((تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ)) إذ من المعلوم أن الدعوة إلى النار لها أشكال عديدة يعد الكفر بالله أحدها، وعليه فهذه الجملة فيها إجمال وضحته وفسرت مضمونه في هذا السياق جملة ((تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ ...).

وتحتمل أن تكون بدلا من قوله تعالى: ((تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ))، و ذلك لما فيها من زيادة بيان عن الجملة المبدل منها، فضلا عن صحة إحلالها محلها في السياق .

وقد قال بالاحتمالين كل من العكبري (٤)، والبيضاوي (٥)، في حين ذهب الزمخشري

---

(١) أنوار التنزيل ، ج٥، ص ٩٠ .

(٢) البحر المحيط ، ج٩، ص ٢٦٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ج٩، ص ٢٦٠ .

(٤) التبيان في إعراب القرآن ، ج٢، ص ١٢٠ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٥، ص ٩٠ .

إلى الاحتمال الأول (١)، وابن هشام (٢)، إلى الاحتمال الثاني.

وورد هذا النمط في آية أخرى أدت فيها الجملة وظيفة التفسير مع احتمالها للبدلية، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ{١٥} آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ{١٦} كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ{١٧} وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ{١٨} وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ الذاريات ١٥ – ١٩.

فقد وردت هذه الآيات في سياق مدح المتقين (٣) .

ويلحظ أن في قوله تعالى: ((إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ)) تعليلا لاستحقاقهم ذلك الفوز الأخروي(٤)، ومعنى الإحسان بالإجمال ما أشار إليه عليه الصلاة والسلام بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)(٥)، وقد فسر في السياق بقوله تعالى: ((كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)) على أن الجملة في محل رفع بدل من قوله تعالى: ((كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ)) حصل بها التفسير(٦)، وقيل أنها جملة تفسيرية كسائر الجمل المفسرة(٧) وفي إسناد الفعل المضارع (يَهْجَعُونَ) إلى الضمير (هم) وبنائه عليه في السياق إشعار بأنهم احقاء بذلك الاستغفار لوجود علمهم بالله وخشيتهم منه(٨)، و كأنهم المختصون بذلك من دون سواهم لاستدامتهم عليه(٩).

ومعنى قوله تعالى: ((وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)) أنهم يستوجبون على أنفسهم إعطاء نصيب من أموالهم للفقراء تقربا إليه سبحانه وتعالى وإشفاقا على

---

(١) الكشاف ، ج٣، ص ٤٢٨ .
(٢) مغني اللبيب ، ج٢، ص ٤٢٦ .
(٣) الكشاف ، ج٤، ص ١٥ .
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٥، ص ٢٣٦ .
(٥) صحيح البخاري ، ج١، ص ١٩ ، كتاب الإيمان .
(٦) روح المعاني ، ٢٧ ، ص ٧ .
(٧) الكشاف ، ج٤، ص ١٥ .
(٨) أنوار التنزيل ، ج٥، ص ٢٣٦ .
(٩) إرشاد العقل السليم ، ج٦، ص ١٣٥ .

الناس[١]، وبذلك تكون الأحوال الثلاثة التي وصفهم الله تعالى بها من قيام واستغفار وتصدق مفسرة ومفصلة لما أجمل من معنى الإحسان.

ثالثا: جملة المفعول به لفعل مرادف لمعنى القول:

تعد الجملة المحكية بما يرادف فعل القول من الجمل النحوية التي هي موضع خلاف بين النحاة، فقد حكى لنا الشرجي الزبيدي اختلافهم في توجيه هذا النمط من الجمل إذ ذهب المتقدمون منهم إلى أنها في محل نصب مفعول به إلا أنهم اختلفوا في العامل فيها، فذهب الكوفيون إلى أن العامل هو الفعل المتقدم عليها وذهب البصريون إلى أنها منصوبة بقول مقدر.[٢]

أما المتأخرون من النحاة فقد ذهبوا إلى عد هذه الجمل جملا تفسيرية لا محل لها من الإعراب[٣]، في حين لم نتبين موقف ابن هشام بشكل واضح من هذا النمط من الجمل، فهو يرى أن الجملة بعد هذه الأفعال إما أن تكون بأداة فتكون لا محل لها من الإعراب، وإما أن تكون مجردة من الأداة فتكون في محل نصب مفعولا به[٤]

ثم انتقل صدى هذا الموقف إلى المحدثين، إذ ذكر فخر الدين قباوة أن الجملة التفسيرية المرتبطة غالبا لها في الإعراب وجه آخر[٥]، ثم أحال القارئ إلى الجمل الواقعة بعد فعل يرادف فعل القول وبعد ذكره الخلاف في عامل النصب فيها عقب الكلام باحتمال آخر مفاده كون جميع هذه الجمل تحتمل التفسير أيضا[٦] فيترك

---

(١) إرشاد العقل السليم ، ج٦، ص ١٣٦ .

(٢) ائتلاف النصرة ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) مغني اللبيب ، ج ٢، ص ٤١٣ .

(٥) إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص ٨١ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ١٦١ .

القارئ في حيرة من أمره إزاء هذه الجمل. ومن شواهد[١] هذا النمط قوله تعالى: ((يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ }النساء ١١.

فقد نزلت في بيان ميراث البنات، إذ إن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور من دون الإناث[٢]

وقوله تعالى: ((لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)) جملة تحتمل التفسير على أنها تفسير وتبيين لما أجمل في قوله تعالى: ((يُوصِيكُمُ اللهُ)) لا محل لها من الإعراب، وقد قال بذلك الزمخشري (٣)، وأبو حيا ن (٤)، وابن هشام (٥)، وتحتمل أيضا المفعولية على أنها في محل نصب مفعول به (يُوصِيكُمُ) بعد تضمينه معنى يفرض عليكم[٦].

ويلحظ هذا النمط أيضا في قوله تعالى: ({ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ }) هود٤٢ .

فقد وردت هذه الآية في سياق المحاورة التي جرت بين سيدنا نوح عليه السلام وابنه[٧]، وقد عرضت لنا مشهدا من مشاهد الطوفان الذي عم الأرض آنذاك.

وجملة (يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا) تحتمل المفعولية على أنها في محل نصب مفعول به لفعل قول مقدر عند البصريين أو بالفعل المذكور عند الكوفيين[٨]، وتحتمل التفسير عند متأخري النحاة على أنها تفسير لمضمون النداء[٩]، إذ إن (النداء) لفظ

---

(١) ينظر على سبيل المثال أيضا السور : المائدة / ٩ ، النحل /٢٨ ، النور / ٥٥ ، الصافات / ٧٩ .
(٢) البحر المحيط ، ج٣، ص ٥٣٣ .
(٣) الكشاف ، ج١، ص ٥٠٥ .
(٤) البحر المحيط ، ج٣، ص ٥٣٣ .
(٥) مغني اللبيب ، ج٢، ص ٤١٣ .
(٦) مشكل إعراب القرآن ، ج١، ص ١٩٠ .
(٧) إرشاد العقل السليم ، ج٣، ص ٣١٥ .
(٨) ائتلاف النصرة ، ص ٩٩ – ١٠٠ .
(٩) المرجع نفسه .

عام له عدة معان تختلف من سياق إلى آخر، وقد فسرها هنا بقوله (يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا).

ومما تجدر الإشارة إليه أن جملة (وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ) قد عطفت على جملة (ارْكَب مَّعَنَا) بقصد إعلامه أن إعراضه عن الركوب يجعله في صف الكفار[١].

وبالمثل ورد هذا النمط في قوله تعالى: ({ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ }) الأنبياء٣

جاءت هذه الآية في سياق ذكر أحوال تلقي المشركين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والبهتان والتآمر[٢].

وقوله (وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى) كلام مستأنف مسوق لبيان خيانتهم[٣]، و (النجوى) اسم من التناجي ولا يكون إلا خفية[٤].

وقوله تعالى: ((الَّذِينَ ظَلَمُواْ)) بدل من (الواو) في (أَسَرُّواْ) مبني عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا به[٥]، أو هو مبتدأ خبره (أَسَرُّواْ النَّجْوَى)[٦] قدم عليه لغرض الاهتمام به، والمعنى (هم أسروا النجوى) وقد وضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما[٧]، ولِما في الموصول من الإيماء إلى سبب تناجيهم بما ذكروا[٨].

---

(١) التحرير والتنوير ، ج١٢ ، ص ٧٦ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ج١١ ، ص ١٧٨ .
(٣) إرشاد العقل السليم ، ج٤، ص ٣٢٢.
(٤) البحر المحيط ، ج٧، ص ٤٠٨ .
(٥) الكشاف ، ج٢، ص ٥٦١.
(٦) البحر المحيط ج٧، ص ٤٠٨ .
(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٤، ص ٨٢.
(٨) التحرير والتنوير ، ج ١٧ ، ص ١٣ .

وجملة (هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) جملة اختلف في توجيهها، إذ ذهب الزجاج[١]، وابن هشام[٢] إلى أنها جملة مفسرة بينت حقيقة ما تناجوا به، في حين ذهب الزمخشري إلى أنها تحتمل البدلية أو النصب بقول مقدر[٣]، وقد وافقه في ذلك البيضاوي[٤]، وأبو السعود[٥]، في حين حكى صاحب ائتلاف النصرة هذه المسألة على أنها من المسائل الخلافية التي حملها البصريون على التفسير ووجهها الكوفيون على البدلية، لأن ما فيه معنى القول يعمل في المحل[٦].

(١) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، ج٣ ، ص ٣١١ .
(٢) مغني اللبيب ، ج٢ ، ص ٣٩٩ .
(٣) الكشاف ، ج٢، ص ٥٦١.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٤، ص ٨٢.
(٥) إرشاد العقل السليم ،ج٤، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .
(٦) ائتلاف النصرة ، ص ٩٨ – ٩٩ .